

## عوامل التخلق الحضاري وأسباب الانهيار عند المسلمين

## Factors of civilization and the causes of the collapse of Muslims

بلقيس محمد المرقب \*

كلية الشريعة والدراسات العليا، جامعة قطر، قطر @qu.edu.qa ba1300731

|                          |                           |                            |
|--------------------------|---------------------------|----------------------------|
| تاريخ النشر : 2020/12/22 | تاريخ القبول : 2020/09/10 | تاريخ الارسال : 2020/08/14 |
|--------------------------|---------------------------|----------------------------|

## ملخص:

الحضاري؛ لتحقيق تقدم غير مشروط ينفي كل تلك العوامل الداعمة لانهيار الحضارة الإسلامية وملابسات انحطاطها، وعلى هذا الأساس فإن الدارس لعوامل قيام وسقوط الأمم والحضارات، يلحظ أنها تكمن في صميم الموقف البشري نفسه لا في الطبيعة أو العلاقات المادية، إنما في إطار الإرادة الإنسانية؛ لأداء دوره الحضاري فيها، ومن ثم فإن أسباب تحضر المجتمع وأسباب تأخره وانحطاطه تعود للإنسان نفسه.

الكلمات المفتاحية: التخلق الحضاري، الانهيار، السقوط، الخمود، العvisية، الحضارة.

## Abstract:

Urbanization is not spontaneous situation in the human instinct, but it is a situation that the person acquires according to subjective and objective factors that lead to it. Since civilization

إنّ الحضار ليس وضعاً مجبولا في فطرة الإنسان، وإنما هو وضع كسي يستحدثه الإنسان وفق عوامل ذاتية وموضوعية تُفضي إليه. وبما أن الحضارة هي أعظم إنجاز بشري، كان لا بد من معالجة مشاكل الحضارة عند المسلمين وسنن وجودها وحركتها وتطورها، فهناك علل حضارية حقيقية تقف وراء الخمود الحضاري الإسلامي، إضافة إلى التجارب الفاشلة المستوردة؛ تلك التي أودت بالأمة وأدت بها إلى مزيد من الانتكاسات المريعة وحييات الأمل وفقدان الثقة في أي اجتهادات قادمة في مجال دراسات الحضارات.

وتحاول هذه الدراسة البحث عن حلول لتلك المشكلات الحضارية بتبني بعض آراء مفكري الحضارة؛ فالأزمة الحضارية الإسلامية لا تُجلى حقيقة مشكلاتها الحضارية التي أدت لانهيارها الحضاري؛ فإشكالياتها الحقيقية حقيّة تتبثر بين علل مجتمعية، وعلل نفسية، وأخرى سياسية، ولا بد من صياغة قانون للتخلق

\* المؤلف المرسل

the human positions itself, not in nature or material relations, but in the framework of the human will; to perform its civilized role on it, because reasons of civilization the society or reasons its delay and degradation depends on the person himself.

**Keywords: civilizational creation, collapse, fall, inaction, tribalism, civilization**

#### مقدمة:

لله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، معلّم الإنسان ما لم يعلم، من نشر له في ملكوته سنناً يسترشد بها، والصلاة والسلام على هادي البشر إلى الخير ومصلح الإنسانية الأعظم.

إن كل حضارة تصطبغ في منهجها كله وفي إنتاجها جميعه بلون الفكرة التي منها نشوؤها وتطورها، حتى إنه ليتكون من ذلك في كل حضارة فقه خاصّ بها يتمثل في المنطق الداخلي الذي تتكون عليه بنيتها وتتحكم به سيرورتها انفعالا بالفكرة التي نشأت منها، ويتميز بذلك المنطق بين حضارة وأخرى، والمعروف لدى فلاسفة التاريخ والحضارة أنّ الحضارة التي تتمخض عن عقيدة ما، يرتبط مصيرها إلى حد كبير بدوافع نشوئها، فإذا ضعف الدافع العقدي أو عانت المعطيات الحضارية من تقطعه وغيابه بهذه النسبة أو تلك، فقدت قدرتها على النمو والاستمرار، وتفككت الأواصر التي تشد أجزاءها. وعلى الرغم من أصالة الفكرة الدينية للحضارة الإسلامية إلا أن هناك معوقات داخلية، إضافة للمعوقات الخارجية التي لا تزال تشكل عقبة أمام تحقيق التخلّق الحضاري.

is the greatest human achievement, it required to address the problems of civilization for Muslims, its existence laws, its movement and its development. There are real civilized reasons stands behind the Islamic civilization inertia; in addition to the failed experience imported, those that led to more painful setbacks, disappointments and loss of confidence in any future jurisprudence in the field of studies of civilizations.

This study tries, consisting of these little papers, to find solutions to these civilizational problems through adopting some views of the civilizational thinkers. The Islamic civilizational crisis does not reflect the fact of its civilizational problems that led to its civilizational collapse; its real problems are hidden among social, psychological and political ones and a law of civilizational creation must be drafted; to achieve unconditional progress, neglecting all those factors supporting the Islamic civilization collapse and the circumstances of its decline. On this basis, the researcher for factors of rise and fall of nations and civilizations notes that they depends on

وتسعى الدراسات الحضارية اليوم لتصدّر قائمة اهتمامات مؤلفات مفكري العالم الإسلامي، إذ بعد قرابة قرن من الزمن، نجد أن حصيلة الأمة من النهوض الحضاري هو العجز والحمود والتأخر، وفي الوقت نفسه هي عاجزة عن تقديم تفسير لذلك؛ لذلك نرى من الضرورة تكثيف مثل هذه الأبحاث للوقوف على هذه الإشكاليات ووضع تصور لمشكلات الحضارة الإسلامية الحقيقية وتعقب العثرات والمعوقات؛ فعبقريّة كل أمة تتجلى من خلال حضورها الحضاري.

وقد اعتاد الناس أن يقيسوا جانب التطور الحضاري بالكَمِّ، بينما يصرّ كثير من علماء الحضارة على استخدام المقياس الأخلاقي والنفسي؛ للوعي بمخاطر القصور في هذا الجانب؛ إذ إنه سبب التأخر والحمود الحضاري، ولا بد من الغوص في الظواهر الاجتماعية، فالأمة الإسلامية متلهفة لكل ما من شأنه أن ينتشلها من الانحطاط<sup>1</sup>؛ فقد أضاعت سبيلها، وغفلت عن مخزون طاقتها العظيمة، وشلت حركاتها الحروب والمحن، فتناست أن الإرادة والفكرة الدينية كان سبب نهضتها الحضارية، وأن بقاء الأمة مرهون بتخلّقها الحضاري وبصلاحها داخليا أولا ثم خارجيا بعد ذلك، وانهارها وفناؤها مرهون بفساد نفوسها أولا ثم بفساد أعمالها بعد ذلك.

ولذلك؛ **فإشكالية الدراسة** تتمثل في السؤالين الآتيين: ما هي عوامل التخلق الحضاري من خلال تلمس أقوال المفكرين وعلماء الحضارة؟ وكيف يمكن أن نتخلص من أسباب الانهيار الحضاري؟ ومن خلال هذين التساؤلين؛ تظهر **أهمية الدراسة**، والتي تتجسد في ضرورة تبني إستراتيجية قوية للتخلّق بخلق الحضارة والتخلص من أسباب الانهيار والسقوط، التي هي أول الخطوات الإيجابية لأمتنا الإسلامية، والتي تمر بمرحلة

تعاني فيها من مشكلات متعددة ، والاتجاه للنهوض الحضاري والأخذ بالسنن الإلهية لبناء الحضارة الإسلامية، فهي على أهميتها فعل إنساني ولها سنن كونية قابلة للتسخير والتحليل والفهم، وعلاقتها وطيدة بالمتغير البشري، وبناء عليه فإن من أهداف هذه الدراسة معرفة عوامل التخلّق الحضاري عند المسلمين، وعوامل الانهيار؛ ومن خلالهما نتوصل لتوصيات ومقترحات إيجابية؛ لتسهم بإذن الله في تحفيز كل مجالات عوامل تعزيز التخلّق الحضاري الإسلامي وتلافي أسباب السقوط.

وسنعمد المنهج الوصفي لدراسة الظاهرة، ومن ثمّ تفسير كل العلاقات التي أفرزتها هذه الظاهرة، وتحليل لكل الأسباب التي أوجدت ظاهرة الإخفاقات الداخلية والخارجية، وسيتم اعتماد الكثير من المراجع التي تمدنا بالمعلومات والحقائق الموثقة واستخدام المنهج الاستقرائي لمعرفة آراء المفكرين والعلماء، ومن خلاله نستخدم المنهج الاستنتاجي والنقدي للتوصل لنتائج حقيقية تفسر لنا كل الظواهر والمشاكل التي تدور في المجتمعات الإسلامية.

### خطة البحث:

- **المبحث الأول:** عوامل التخلّق الحضاري عند المسلمين.
- **المبحث الثاني:** أسباب الانهيار الحضاري في الرؤية الإسلامية.
- **المبحث الثالث:** مظاهر السقوط الحضاري.
- **الخاتمة والتوصيات.**

## المبحث الأول: عوامل التخلق الحضاري عند

المسلمين

## أولاً: مفهوم التخلق الحضاري:

إن الحضارة هي الشكل الأكثر أصالة وواقعية في المجتمعات البشرية، فالحضارة هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وهي تتكون من عناصر أربعة هي: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، بالإضافة للتقاليد الخلقية، والفنون العلوم<sup>2</sup>. فالمظاهر الحضارية لكل أمة هي نتائج لمجموعة الأفكار والتقاليد والعقائد والعوامل النفسية المهيمنة عليها، وكل حضارة لها أسس فكرية ونفسية شكلت لديها الدافع الرئيسي والقوة الموجهة لنمط سيرها<sup>3</sup>.

وقد سعى الفلاسفة بدورهم إلى وضع قوالب تصب فيها أخلاق الإنسان الفاضل على نحو ما تصوره في ذلك الوقت، حيث كان يُنظر إليها على أنه مجموعة قوى ذات مطالب يناقض بعضها البعض، وتقوم بينها حرب شعواء لا تنتهي إلا بانتصار بعضها واستسلام البعض الآخر عنوة، فقد كان الإنسان نفسه كما جاء في الشرائع يتألف من جسد وروح، أما الجسد فهو الجانب المادي فيه، بينما الروح تمثل الأخلاق، ولها أهمية وقيمة حاسمة بوصفها جزءاً من الحضارة؛ حيث إن القاعدة الخلقية الأولى هي أن يعيش الإنسان وفقاً للطبيعة، وبما أن الطبيعة والعقل شيء واحد، فغاية الأخلاق أن يجعل الإنسان العقل مسيطراً على سلوكه، فالشهوات تنافي العقل، والحياة الخلقية تفرض محاربة الشهوات واستئصالها<sup>4</sup>، أما الحضارة الإسلامية فهي الحضارة التي تشتمل أسسها الفكرية والنفسية على حاجات الحياة كلها من مختلف جوانبها الفكرية والروحية والنفسية والجسدية والمادية الفردية والاجتماعية بتوازن وتقنين، وفي جميع المجالات العلمية والعملية<sup>5</sup>.

وقد استطاعت أسس هذه الحضارة ووسائلها ومنهجها أن تدفع الأمة الإسلامية في حُقبه من الدهر للارتقاء في سلم الحضارة المحيطة المثل<sup>6</sup>، وبمقدار التزامها بأسسها ووسائلها ومنهجها السديد كانت نسبة الارتقاء الذي أحرزته هذه الأمة - بالفعل - نسبة مدهشة، إذا ما قيست بالزمن والطاقت التي تيسرت لها حينذاك، واستمرت في ارتقائها المدهش حتى أدركها الوهن والانحراف عن هذه الأسس ووسائلها الفعالة ومنهجها السديد.

لقد ساد تصور غير موضوعي للحضارة، يطرح فكرة أن كل أعراض الانحلال هي أعراض شيخوخة، والحضارة شأنها شأن أي عملية نمو، لا بد أن تبلغ نهايتها بعد مرور فترة معينة من الزمن<sup>7</sup>؛ ولهذا فليس لدى المجتمعات الإسلامية ما تعمله غير أن تُسلم بأن أسباب هذا الانحلال هي أسباب طبيعية تماماً، وعلمنا أن نفعل ما في وسعنا للإفادة من ظاهرة شيخوختها الأليمة، التي تشهد بأن الحضارة تفقد تدريجياً طابعها الأخلاقي، وبما أن العنصر الأخلاقي هو العنصر الجوهر في الحضارة، فإن الانحلال يتحوّل إلى نفضة بمجرد أن يعود النشاط الأخلاقي إلى العمل من جديد في المعتقدات وفي الأفكار التي لا بد من المحاولة لأن يُطعّم بها الواقع، والقيام بهذه المحاولة أمر جدير بالسعي إليه، ويجب أن يمتد ليشمل العالم كله وليس فقط العالم الإسلامي.

فالعالم الإسلامي اليوم يعيش أزمات كبرى وحروباً ومحنّاً، وتدفع شعوبه الثمن من أرواحهم وأمنهم واستقرارهم، وهناك محاولات لنشر التفرقة والطائفية السياسية لتبرير الاستبداد والظلم والفساد، وهناك ربط بين الاستقرار والأمن والعدالة وبين قيم الحرية والمساواة، وصلة كل هذا بالواجب الخُلقي<sup>8</sup> أو ما يمكن أن يطلق عليه التخلق الحضاري؛ فالأخلاق الفاضلة هي الأساس

القوي الذي تُبنى عليه الحضارات، ويحمي البشرية من كل ما يُسيء لها في منظومة حياتها، في مختلف مراحل نموها وتطورها في المجالات كافة؛ فالحضارة من دون هذه الأخلاق، غالبا ما تعيش في دوامة من الفراغ الروحي، الذي يوقعها في الفوضى والمشاكل الاجتماعية والسياسية والتأخر الحضاري، والأمم التي فقدت أخلاقها، فقدت معها أيضا مقومات الاستمرار والبقاء في الحياة، فكم من الأمم الماضية انهارت حضاراتها بسبب طغيانها وفسادها الأخلاقي<sup>9</sup>؛ ففساد الأخلاق بين البشر هو الطامة الكبرى التي تؤدي بالحضارة الإنسانية إلى الانهيار والفناء، وعلى هذا فإن القيم الأخلاقية الصحيحة ينبغي أن تُعتبر بمثابة مطعم إلى الوجود الإنساني الكامل، ولا يُسوغ لها أن تغفل امتداد جذر هذا الوجود إلى المجالات الحيوية والتاريخية والاجتماعية والحضارية، بل إن الوجود المشخص يرتبط بحال النسج والجملة العصبية ارتباطه باللحظة التاريخية والوضع الاجتماعي، إنه بالمثل الأخلاقية المتعقلة وحدها يمكن الوصول إلى علاقة سوية بالواقع، وربط أهداف السماء بضرورات الأرض<sup>10</sup>.

إذن، لا يمكن للحضارة أن تتجدد إلا إذا نشأت في عدد من الأفراد نزعة عقلية جديدة مستقلة عن تلك السائدة بين الجمهور وفي تعارض معها؛ نزعة عقلية تكتسب التأثير تدريجيا في النزعة الجماعية، وفي النهاية تطبعها بطابعها الخُلقي، ولا سبيل إليها للنجاة من الهمجية والتخلف إلا بحركة أخلاقية<sup>11</sup>.

#### ثانيا: عوامل الصعود والتخلق الحضاري:

لا توجد أمة من الأمم، بدائية كانت أو متحضرة؛ تخلو من وجود ثقافة خاصة ترتبط بها وتكسبها تميّزا في طريقة عيشها ونظرتها لمظاهر الكون والحياة، وتنعكس

في سلوكيات أفرادها ونشاطاتهم، وتمنح تلك المجتمعات الترابط بين أفرادها والتماسك بينهم.

أما الحضارة فلا نعني بها ثقافة المجتمع؛ إذ الحضارة ترمز للتقدم والرفي والازدهار وكل الإنجازات التي يكون لها صدى في المحيط التاريخي، وفاعلية في صناعة أحداث التاريخ وتشكيل منعطياته<sup>12</sup> فالعلامة الفارقة للفعل الحضاري تظهر في الحضور التاريخي<sup>13</sup> ومن ثم فإن الحضارة لا تتوقف عند توافر النتاجين المادي والفكري فحسب، وإنما لا بُدّ لكل حضارة من أن تمتلك خصوصية ثقافية ترتبط بفكرة دينية تعتبر بمثابة الروح لها، فلا يُعتد بالوجود الثقافي فحسب. فالأمة الإسلامية اليوم ليست كما كانت بالأمس؛ إذ هي غائبة عن المشهد التاريخي برغم وجود فكرتها الدينية، ولا يوجد لها أي تأثير فيه، فهي تمر بأزمة حضارية وبليلة ثقافية خطيرة وتخبّط غير مسبوق، فالأزمة أزمة حضارية بالدرجة الأولى تترتب عليها أيضا أزمة هوية ثقافية متفاقمة.

وسوف أتطرق لبعض عوامل التخلق الحضاري حتى أُسهم بجزء قليل في الحراك الفكري للأمة الإسلامية؛ لتصبح قادرة على إعادة ما تدعى من بنيان حضارتها فتبنيه من جديد، فما دام الأمة متقطعة الأوصال، متفرقة الطرق والشعاب، يسودها الانقسام العقدي والوهن المجتمعي، فستظل تُسلب خيراتها، وسيظل الشعور بالنقص يسود تفكيرها، وقابلية الاستعمار تُهيمن عليها، وسيستمر استيرادها لأدوات الحضارة؛ ظلّا منها أهما متحضرة بتوافر الحضارة الشيئية<sup>14</sup>. والأمة الإسلامية ولّادة ولها إيجابيات حضارية تشدّها دائما للأعلى وتجعل الفرصة سانحة لها، إذا هي أحسنت استغلالها وتفعيلها؛ بتفعيل الفكرة الدينية والمرجع العقدي والأفكار الحية.

## أولاً- فكرة العصبية والحضارة:

ابن خلدون تكلم عن دور العصبية في الحضارة، لكن الملاحظ أنه لم يتحمل هذه الكلمة بمعناها اللغوي، لكن تحدث عنها بشكل أوسع وأدخل في نطاق العصبية أنواع الروابط الاجتماعية بوجه عام، والتكاتفية بوجه خاص. والعصبية عند ابن خلدون هي بمعنى رمزي، فالتسبب عنده له وظيفة رمزية لا يقصد الأساس العربي وقرابة الدم، ولكن نفع العصبية في الالتحام والترابط الاجتماعي والتماسك عند الأزمات والشدائد<sup>15</sup>، والتركيز في العصبية يتم التركيز على الجانب المعنوي منها وهي رابطة سيكولوجية اجتماعية تربط أفراد المجتمع، ويوضح ذلك أكثر محمد عابد الجابري حيث يرى أنها شعور الفرد بأن كل ما يصيب الجماعة يصيبه، وأن مصيره مرتبط بمصيرهم، فيجسد شعوره شعور العصبية ويتخلى عن الفردانية ويظهر هذا بشكل واضح عندما تتعرض الجماعة لخطر ما<sup>16</sup>.

إن عالم الأفكار من أساسيات الحضارات؛ والتي يعتمد عليها كل مفكري وعلماء الحضارة، وكل أمة متحضرة تظهر على صفحات التاريخ المجيد؛ تُقدم أفكاراً تتمثل في فن أو عمران أو تقليد أو علوم أو قانون اعتمد بين الأمم؛ فالأفكار هي أساس الحضارة<sup>17</sup>. وفي هذا الإطار تأتي فكرة "العصبية" والتي يرى فيها ابن خلدون أنها من أهم عوامل قيام الحضارات، من حيث تجمعهم والتفافهم حول المصلحة العامة، وتمكين الولاء لا يكون إلا في المجتمع المتمحور أو المتعصب- بتعبير ابن خلدون- لمصلحة الجماعة العامة، وليس لشخص يرى في الجماعة تحقيقاً لمصلحته الخاصة دون غيره<sup>18</sup>.

ويرى ابن خلدون أن الحضارة الإسلامية كانت قد اتسمت بعصبيتها القوية والتي كان لها دور في التغلب

على أقوى إمبراطوريتين في ذلك الوقت وهما: الإمبراطورية الفارسية وإمبراطورية الروم وهي في الأساس عصبية بدوية حيث يعتبر ابن خلدون البداوة أصل الحضارة<sup>19</sup>، وهذه العصبية اتحدت مع الفكرة الدينية وتنتج عنها عصبية قوية ساعدت المسلمين على التغلب على كل المخاطر والصعاب وكان لها ما أرادت ووصلت للتمكين الحضاري<sup>20</sup>.

فالحضارة هي فكرة تبناها أشخاص وحولوها إلى مُنجز؛ وإنما قُدمت الأفكار على الأشخاص؛ لأن الناس تأتي وتذهب، وما يبقى هو عالم الأفكار التي يحولها الإنسان المتحضر إلى عالم الأشياء، والفكرة تنتهي وتنتهي إذا لم تجد من يكمل مشوارها إلى أرض الواقع، كما أن الفكرة إذا لم يأخذها أشخاص ذوو كفاءة ومقدرة وهمة عالية، فإنها تذبل وتضمحل، وإذا لم يتم تداولها وظلت في شخص واحد تحولت لفكرة إيديولوجية؛ فالمجتمع ليس مجموعة من الأفراد بل هو تنظيم ذو طابع إنساني يستقيم بنظام معين يعتمد على حركة يمتاز بها المجتمع وإنتاجه، وتحديد اتجاه هذه الحركة لدخول التاريخ، فالحركة عند علماء الاجتماع توصل لمجتمع راقٍ (حضارة)، وقد تُوصل للتخلف بحسب اتجاه هذه الحركة، فالتاريخ هو من يصنع المجتمعات ويسير بركب التقدم محققاً الحضارة<sup>21</sup>.

كما أن الفكرة الحضارية في حالة فشلها تكون من أسباب القتل أو الانتحار الحضاري لها كما ذكر ذلك ابن خلدون في نظرية تطور الحضارات من البداوة للحضر وأسباب السقوط<sup>22</sup>؛ حيث إن تبني الفكرة من نخبة قوية ومؤمنة ترتبط مع الأمة بروابط قوية تجعل الحضارة تقف شامخة في وجه التحديات، فتتحرك قُدماً لتحقيق مصالح الأمة وتكون خانة الفاعلية التاريخية،

وفكرية، تجعلها بصفة عامة لا تحقق للأفكار شروط حصانتها وفعاليتها فيها...<sup>29</sup>.

**ثانياً- دافع التحديات والاستجابة لها:** اعتبر توينبي أن التحدي والاستجابة هما مفتاح الحضارات، وأن حركة التاريخ برؤيتها تسير على إيقاعهما، وهو التعرض لظروف صعبة وقاسية، طبيعية أو بشرية، ويكون هناك استجابة فعّالة تقوم بها الفئة أو الأقلية الفعّالة، فينتج عن ذلك صنع الحضارات؛ فالظروف الصعبة من وجهة نظر توينبي هي من تستثير الأمم لقيام الحضارات.<sup>30</sup>

من خلال نظرية توينبي في التحدي والاستجابة، يخبرنا فيها أنه كلما كان التحدي قويا، كان الحافز للاستجابة أقوى والدافعية أكثر<sup>31</sup>، فهو يرى أن التحديات تتوجه إلى ضمير الأفراد أو الجماعة، فتكون مواجهتهم لها بالقدر الذي تكون عليه أهمية الاستفزاز وخطورته، بحيث يكون هناك توازن بين طبيعة الاستفزاز وبين الموقف الذي يتخذه الضمير بمواجهة ذلك التحدي، وبناء عليه فإن الاستجابة للتحدي تكون متوافقة مع شدته، وانعدامها (التحديات) يؤدي إلى انعدام الاستجابة، وبذلك يفقد معناه بأنه عامل من عوامل التغيير الاجتماعي، ويرى توينبي أن هذه أهم مراحل التاريخ الإنساني.<sup>32</sup>

إن فكرة الحضارة الإيجابية تجعل هناك تحديات لاقتفاء أثرها الإيجابي، والتحديات تصقل نفسية رجل الحضارة وتجدد فيه الطموح والرغبة والثقة، وتحفز غريزة حب البقاء والظهور والتميز، فالتحديات القوية- كما قال توينبي- إما أن تقتلك وتوصلك للنكوص والانزواء والانطواء والتغني بالماضي والجمود، وإما أن تجعلك منطلقا وقويا ومقاوما شرسا للوصول للإنجاز الحضاري، فتزرع التنافسية التي تشبع الرغبة الجامحة عند الإنسان؛

عندها فقط تتحقق المنجزات الحضارية، فالأفكار تبني حضارة بشروط؛ أهمها:

- عقيدة يتمسك بها المسلمون وتصير هدفا متركزا يلتف حوله الجميع.<sup>23</sup>
- تحقيق الإنجازات والمصالح للجميع على أرض الواقع ويكون أساسها العدل فهو أساس البنيان الحضاري ف (الظلم مؤذن بخراب العمران) كما أشار إلى ذلك ابن خلدون<sup>24</sup>، ويجب على المجتمعات الإسلامية أن تُعطي الفكرة فعاليتها لتستطيع مواجهة العصر وتحقق النجاح باستعادة قيمه وتقاليده والبحث عن وسائل فعالية الفكرة؛ لأن إرادة المجتمع هي من تضيف إلى وظيفة الحضارة الموضوعية والدافعية<sup>25</sup>، فلا بد من تجسيد فعالية الأفكار في الواقع وإلا فما الفائدة من توافر رصيد عظيم من الأفكار دون أن تساهم هذه الأفكار في انبعث حضارة، ففي منطلق هذا العصر لا يكون إثبات صحة الأفكار بالمستوى الأخلاقي أو المستوى الفلسفي بل بالمستوى العملي، فالأفكار الصحيحة إذا هي من تضمن النجاح، فلا يكفي أن تُعلن عن قدسية القيم الإسلامية، بل علينا أن نزودها بما يجعلها قادرة على مواجهة روح العصر.<sup>26</sup>

والحضارة الإسلامية اعتمدت على الرعاية بالولاء والطاعة وتحقيق الجهاد ووجود القدوة<sup>27</sup>، وقد لخص ابن خلدون دور العصبية فجعل الحضارة تتحقق عنده في الدولة، والدولة لا بد لها من مُلك، والرئاسة تكون بالغلبة، والغلبة تتحقق بالعصبية<sup>28</sup>، فلا بد من الاعتماد في تحصين الأفكار على الروح الحضارية الباعثة لروح الإيمان والأصالة فالسقوط الفكري والحضاري والأخلاقي هو أساس المشكلات الحضارية: "إن معظم المجتمعات الإسلامية أصبحت قيادته تعاني أزمة أخلاقية

للتحدي تكون مثمرة إذا بُنيت على فكرة أصيلة من الداخل، وهذا الذي يجب أن تتبناه الحضارة الإسلامية ما دامت الفكرة موجودة ودافع الاستجابة مبثوثا ومغروسا في النفوس ومبنيا على منطلق عقدي؛ فيجب أن تُبَعَثَ من جديد؛ لأنها الوسيلة الوحيدة للمضي قُدُماً في إحياء بذور الحضارة الإسلامية.

### ثالثاً- استثمار الوقت والجهد ونشر ثقافة العمل:

الوقت هو الثروة المتدفقة التي يجب على الأمة استغلالها بشكل جيد، وهي القيمة التي لا تقوّم بمال، وهو في العالم الإسلامي صار من قيم التخلّي؛ لأن المسلم (والعربي بالتحديد)، صارت أوقاته أزيد من فعله الواجبات، فهو يؤديها في ساعات قليلة وما تبقى من الوقت يهدره في أشياء لا طائل منها، وحال الأمة العربية والإسلامية اليوم يؤكد صحة هذا الكلام، وإذا نظرنا إلى النعم المتوافرة التي تحظى بها الأمتان: من الامتداد الجغرافي، والمناخ المتنوع، وأيادٍ عاملة شابة، وعقول مئات الملايين من البشر، لكن في نهاية الحال أمة مأزومة يسودها الفوضى تعلن انهيارها الأخلاقي والحضاري بالمطلق- وهناك من الشواهد ما يكفي للاستدلال، ولن نستغرق كثيراً في وصف المظاهر السلبية ولكن الأقوم تلمّس الحلول.

فيرى مالك بن نبي أن الوقت هو نهر قدس يعبر العالم بأكمله؛ فمنهم من يستغله فيدخله التاريخ، ومنهم من يفرط فيه فيُتَدَفَّ به بعيداً، ويؤكد على أهميته لكنه يقف متحسراً على موقعه من عالمنا الإسلامي؛ ليؤكد مشهداً مزعجاً بعد عقد المقارنات مع الدول المتحضرة التي تحترم الوقت كما تحترم نفسها تماماً، فيقول: "فنحن في العالم الإسلامي نعرف شيئاً يسمى وقتاً، ولكنه الوقت الذي ينتهي إلى العدم؛ لأننا لا ندرك جيداً معناه، ولأننا لا ندرك أن قيمة أجزائه من ساعة ودقيقة وثانية،

لتخطي العقبات والتحديات؛ فالحضارات تولد عندما تُستحث الظروف الصعبة<sup>33</sup>.

وإذا اتحدت فكرة الحضارة مع المنفعة الجماعية أصبح ذلك وسيلة للجذب، فتنتطلق الذات المسلمة بكل قوتها لتحقيق نفسها ضد كل التهميش والاستئصال، وبشكل أوضح العصبية- عند ابن خلدون- تكون أقوى وأشد عندما تظهر تحديات للمصالح المشتركة<sup>34</sup>؛ فالجدير بالذكر أن معظم النهوض كان بعد شدة ومعاناة: كنهضة فرنسا، وكذلك الثورة الصناعية، ويمكن الإسقاط على ما تعانيه الشعوب الإسلامية في العراق وفي فلسطين وفي اليمن وسوريا؛ إذ إن الشعوب تكافح وتعيش، بالرغم من كل الظروف القاسية التي يمكن أن تمر على بشر؛ فالخوف والجوع والفقر والحروب والمرض يلُفُّهم من كل مناحي حياتهم، وبالرغم من هذا يتعايشون مع الأوضاع القاسية؛ من أجل إثبات الذات والتمسك بالحياة.

إذا الحضارة- كما يقول توينبي- هي التفاعل بين طرفين، فمن وجهة نظره أن التحديات تجعل الهدف موحّداً، وهذا ما يحصل في تحريك الهدف الحضاري، ولو كانت التحديات واحدة في كل الحضارات، لما تفاوتت الحضارات، فهو يرى أنه من الخطأ القول بوحدة الحضارات<sup>35</sup>، وبناء على ما سبق فالجتمعات الإسلامية بحاجة إلى توضيح الهدف من مجهوداتها؛ حتى تتمكن من تخطي العقبات وتواجه التحديات.

ويوضّح توينبي في نظريته مظاهر التحدي والصعوبات مثل: (البلاد المتعبة، والأرض الجديدة، والضربات المتتالية والهزائم، وضغوط الحياة، والنقم)<sup>36</sup>، ويتفق معه مالك بن نبي؛ وهو يُطلعننا على شروط النهضة التي تسهم في وضع منهاج البناء الحضاري، حيث يتفقان على ضرورة وجود دافع للتحديات؛ فالاستجابة

ولسنا نعرف إلى الآن قيمة فكرة الزمن الذي يتصل بالاتصال الوثيق بالتاريخ...<sup>37</sup>.

ويضيف "وتحديداً، فإن فكرة الزمن تتحدد بمعنى التأثير والإنتاجية، وهو معنى الحياة الذي ينقصنا...، فالحياة والتاريخ يخضعان للتوقيت كانا وما يزالان، فنحن بالفعل في حاجة مُلحة إلى توقيت دقيق، وخطوات واسعة؛ لكي يعوّض المسلمون تأخرهم عنه، وأنه بات من الضروري جداً تثمين الوقت، وإذا اهتم المجتمع المسلم بالوقت، فسيرتفع الإنتاج العقلي والروحي واليدوي"<sup>38</sup> وذلك بالعمل على توجيه الطاقات والقوى المتوافرة في المجتمعات العربية والإسلامية وتوزيع الأدوار، واستخدام الطاقات الكامنة التي لم تستخدم للوصول إلى الهدف المنشود حتى الآن؛ لكي يعوّضوا ما فاتهم، فيحددوا المنطقة التي يرونها الفرد المسلم بساعات معينة من الأربع والعشرين ساعة والتي تمر على عالمنا يومياً.

ويقول "هناك الملايين من السواعد العاملة والعقول المفكرة والعبقرية في العالم الإسلامي، وهي صالحة لاستثمارها في قيادة عجلة الحضارة في كل وقت، والمهم أن يتم إدارة هذا الجهاز الهائل؛ ليعمل في أحسن ظروف المجتمع الزمنية والإنتاجية المناسبة للكل، وهذه القوة البشرية حين تتحرك فإنها تسير في مجرى التاريخ نحو هدفها المنشود، وكل عضو من أعضاء المجتمع له دور في استغلال الأوقات في إدارة عجلة البناء الحضاري، فحياة الأمم والشعوب لا تقاس إلا بمقياس الزمن"<sup>39</sup>.

ويطرح ابن نبي من منظور تثمين الوقت أو الزمن أيضاً، مسألة حقوق وواجبات الأمة بشيء من الدقة، فيركز كثيراً على أنه من الضروري أن يهتم الفرد المسلم بالواجب أكثر من التركيز على الرغبة في نيل الحقوق أو ما يسمى العطاء السخي، وقد لا يوافق الكثير على

هذه القاعدة؛ انطلاقاً من الخلفيات والحاجات والمصالح الملحة لهم، وتقديمها على كل الواجبات؛ فالواجبات أكثر من أوقات الإنسان أحياناً، بينما ابن نبي يرى أنه لو التزم كل فرد بالقيام بها (الواجبات)؛ لأتتهم الحقوق سعياً؛ فالمجتمع الذي يرتقي وينمو ويتقدم، هذا يعني أن لديه رصيداً فائضاً في لائحة الواجب، فمالك بن نبي يرى أنه من أجل تحقق الأفكار الإيجابية وإعادة بناء الحضارة لا بد من القيام بالواجبات عوضاً عن التوقف للمطالبة بالحقوق؛ فهذه الكلمة اللذيذة على النفوس البشرية - كما يصفها ابن نبي - لاقت كسلاً وعطلاً تخليقياً وروحياً ودعة، فالسهولة - وهي من الكلمات التي لها حضور في وضعنا الراهن، خاصة السياق السياسي والجانب الإصلاحي - أدت إلى الخروج الكلي من التاريخ، فلا بد من أن تصبح البلاد الإسلامية ورشة للعمل المثمر والفعال والقيام بالواجبات الباعثة للحياة، وألاً تصبح منضدة في مقاهينا أو منبرا تُلقى منه خطابتنا الانتخابية، فكم سمعت المجتمعات الإسلامية والعربية من الأسطوانات والوعود الرنانة، وكم زُددت عبارة (إننا نطالب بحقوقنا)<sup>40</sup>؛ تلك الحقوق الخلافة والمغرية التي يستسهلها الناس، فلا يعمدون إلى الطريق الأصعب عليهم وهو طريق الواجبات.

إن الواجب على المجتمع للقضاء على البطالة أن يتجه للعمل الجاد والمثابرة؛ ليفيد؛ ليصبح فعالاً، فقد خرجت ألمانيا مدبرة بعد الحرب العالمية فاقترح أحد قياداتها العمل لمدة ساعتين إضافيتين بدون أجر زيادة على وقت العمل الأصلي، فسبب هذا نخضة ألمانيا وريقها إلى ما هي عليه اليوم<sup>41</sup>، وبالمقابل في الجزائر تم تعيين شرطة في السبعينيات تقوم بإعادة الأشخاص الذين يتسربون من أعمالهم إلى المقاهي والطرق؛ ولذلك هذا هو حال المسلمين اليوم، فهم أكثر

الشعوب التي تقتل الوقت وتهدره، مع أن الوقت جزء مهم لأحياء الحضارة والتخلق الحضاري<sup>42</sup>.

### المبحث الثاني- أسباب الانهيار الحضاري في الرؤية الإسلامية:

من العوامل الحضارية المهمة الداعمة للحضارة: الرخاء الاقتصادي، وموقع البلد الجغرافي، وتوافر موارد للدول، والتفوق العلمي والتقني، وثقافة السكان، وعدم وجود منافس حضاري. صحيح أنه لا يشترط توافرها بأكملها حتى تكون من روافد الحضارة لكن توافر بعضها ضروري جداً، مع العلم أنها غابت كلياً في الحضارة الإسلامية، فقد كانت الموارد صفرية تقريباً في الجزيرة العربية، وكانت الذات المسلمة أكثر اندفاعاً وصلابة بروحها الإيمانية وقوة تحديها استطاعت إيجاد الروافد الحضارية من خلال التحديات والاستجابة الجبارة؛ وبسبب ذلك وصلت لذروة الحضارة ثم توقف هذا الصعود وكأن التاريخ توقف بتوقف روح الدافعية القوية للصعود، وحينما توقفت بدأت مرحلة العقل بالعمل بعيداً عن الروح وشاركته الحواس؛ فالحضارة لم تسقط سقوطاً كاملاً؛ ولكنها خبت تدريجياً حتى توقفت الحضارة، فسكنت وخمدت جذوتها. وتمثل مظاهر هذا التوقف في التالي:

#### أولاً- انفصال الحضارة عن القيم:

انفصال الحضارة من الدين وتحررها من سلطانه هذا يفضي بها إلى انحلال الأخلاق وانحطاطها، عاجلاً أم آجلاً، وهذا ما يبدو جلياً في حالة الشقاء التي يتعرض لها المجتمع الكافر أو المشرك، فإذا كانت الدافعية الحضارية هي الفاعلية وهي أبرز سمات الحضارة فإن العكس أبرز علامات التدهور؛ فخمود القوة الفعالة وانفصالها عن الدين هو السبب الرئيسي للخمود الحضاري؛ فالفكرة هي عجلة الحركة التاريخية، وطاقة

وقودها القيم المنبثقة من الدين ومصالح الجماعة المشتركة، فضعف الفكرة الحضارية يُضعف على إثره القيم وتنفصل عنها، وقد تصل القوة المادية إلى أقصى قوتها، بينما تصل القيم للانحيار الكامل كما ذكر توينبي عن الحضارة الغربية حين قال: "ولعل ملاك الموت يضع يده الباردة على حضارتنا كذلك"<sup>43</sup>، فقد تستمر من حيث النمو المادي ما توافقت مع المصالح، وهذا وجه ولكنه ليس المثالي؛ حيث إن سوسة التحلل تبدأ في النخر ولو كان تدريجياً ما غابت الفكرة؛ فالنشأة تكون تدريجياً وكذلك الخبث والانهيار، حيث يبدأ الصرح الحضاري بالخمود الحضاري والتهوي<sup>44</sup> وفقدان القيم؛ وهو ما يُسهم في تدهور الحضارة؛ لأن لها قيمة بوصفها جزءاً من الحضارة؛ فالإنجازات الكبرى توالى في الصناعة والإدارة والاقتصاد لكن كل جزء أصاب الحضارة ظهر في النواحي الأخلاقية كما ظهر في النواحي المادية، واعتقد كثيرون أن الحضارة تستطيع أن تتقدم في جوهرها معتمدة على الإنجازات المادية دون الأخلاقية منها، وقد كانت نتائج التخلي عن القيم والتصور الأخلاقي وخيمة؛ حيث ترك الواقع بدون مثل وبلا قيم، بينما العقيدة القائمة على المثل الأخلاقية هي وحدها القادرة على إيجاد نشاط حر، وبالانفصال عن المثل والأخلاق تتضاءل القدرة العملية.<sup>45</sup>

إن الحضارة الإسلامية قفزت قفزة مفاجئة في الصرح الحضاري والتاريخي وكان قوامها الروح، بينما الغربية ارتفعت تدريجياً حتى وصلت إلى الذروة الحضارية، وكانت تحمل نوعاً من القيم لكن مع دخول الحرب العالمية فقدت كل تلك القيم واعتمدت على العقل؛ فحصلت فجوة بين القيم والمصالح؛ ونتيجة لذلك لم تجد لها مولداً جديداً للطاقة بعد تدهور القيم والفكرة<sup>46</sup>، ودخلت الحضارة الغربية إلى مرحلة القوة

الاقتصادية لحركة العلوم وتطبيقاتها، والحركة الاقتصادية كانت هي سببا للنهوض الحضاري الغربي، بينما الفكرة الدينية للحضارة الإسلامية ارتبطت بالقيم ارتباطا وثيقا في فترة من فترات حتى في التسليح العسكري، فكانت سببا للإقلاع الحضاري الإسلامي؛ فمُجمل ما مضى أن الإنجازات والمصالح تتبادل المنفعة فيما بينهما، ويتراجع الحافز ويؤدي إلى افتقاد الدافعية أو الوصول لخمود الطاقة<sup>47</sup> وهذا كله صاحبه تراجع وتقهر في الحماسة وانتكاسة، وتبدد اليقين في حلم العودة للصداقة أو التقدم والرفي مرة أخرى.

### ثانيا- الانقلاب النفسي واليأس والقنوط:

مهما توافرت لدى أفراد المجتمعات من أفكار إيجابية وإمكانات وقدرات حضارية قوية ومتزنة، فإنها تتسرب أمام شحة اليقين أو انعدامه، فاليقين هو ما يُعطي الطاقة المحركة الفاعلية، وانعدامه يحولها إلى أفكار معطلة ومهملة لا تأثير لها، فالفكرة تلتصق بالإنسان وتنتظر شرارة اليقين؛ ليحعل فيها طاقة فعّالة محرّكة، فهو الذي يُغري بتباشير المستقبل والخوض في مغامراته، فيولد أمل عريض أنه زاد المستقبل القادم، وهذا الأمل الذي يدفعه اليقين هو ما يمنح الصبر على النكبات والمقاومة الشرسة؛ لتعيش الفكرة الحضارية مرحلة تخلفها بمفردها، وليس لها أمل إلا الإنسان ليخرجها إلى أرض الواقع؛ فيعيد تحريك الأشياء المادية، فعناصر الحضارة التراب والإنسان والوقت، لكن الإنسان هو العنصر الأهم<sup>48</sup>.

فحين تتنافس المجتمعات في جمع وتكديس الأشياء يطفو على السطح الرفاه والوفرة، وحين تجني المجتمعات المكاسب الكثيرة، يبدأ اليقين في الاهتزاز والتحلل، ويبدأ الضعف في ابتكار الأفكار أو البحث عن بديل لها، فتتعدد الولاءات، وبعد أن كان الجميع مشتركا في العمل الحضاري، تحل محلها المصلحة الفردية. صحيح

أنه هناك منجزات مادية جمّة تتحقق، وقد تزداد المعرفة لكن فكرة الحضارة بهتت؛ حيث تبدأ روابط الأمة في التفكك في كل النواحي اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، كما أن وجود أطروحات حضارية قوية منافسة ومهيمنة تشكك في أساس الفكرة الحضارية فتزرع الشك؛ وتهتك اليقين ويصبح مهترئا ممزقا، فتتوشح الأمة بالمنافع والمصالح التي تفرز سلبيات مميتة وقاتلة؛ فتراكم الرفاهية التي تعيق عجلة الحضارة، وتردم كل روافده؛ ليصبح كالفيضان الذي لا يجد مخرجا فيعود ليدمر كل شيء، ويصبح هناك انتحار جماعي للأمة، وتصبح المحافظة على الحضارة عبئا ثقيلا يُجترّ جرّاً، ويضيع الهدف إن لم يتم تصحيح مسارها، ولا يبقى من مظاهر اليقين إلا خبراته القاسية والصعبة، حينها يصبح اليأس بديل اليقين وهو أكبر معول هدم للحضارات<sup>49</sup>.

ومن عوامل الهدم الأخرى كما ذكرنا سابقا: التكديس الحضاري والتفنن في اقتناء كل شيء فوق الضروريات: في المأكل والملبس والطعام والمباني، ليصل إلى أن يصبح الترف تَلْكَاً<sup>50</sup>.

### ثالثا- الترف والرفاهية:

مما لا شك فيه أن أمل كل حضارة أن تحقق لأبنائها الرفاهية، بل إنها الدافع الرئيسي والغاية المنشودة، فالحضارة تتحول من مراحلها في التخلق والنشوء إلى مرحلة الازدهار والتطور الحضاري المكتمل؛ حيث ينتقل هذا الرفاه إلى صورها في الدولة والتشريع ومؤسسات الدولة النظامية، فتظهر المنجزات في شتى الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما حصل في دولة الإسلام الأولى من نوعها وتميزها، وبذلك تكون الفكرة الحضارية في أقصى قوتها وزهوها، ويلتف حولها الجميع ليلتحقوا بها وهذا ما حصل للحضارة الإسلامية، فيها يتحقق السلطان والقوة والثروة والمعارف، وتآزرت

وقد رها المعلوم؛ وهو التمزق والانحدار، وتصبح القدوات أصحاب المجون والقصور والأموال، ويخفت جانب القيم والأخلاق، ويضيع صوت العلماء والمفكرين في ظل هذا الصخب والفساد الماخن.

إن الترف ممارسة مدمرة، سواء للجماعة كلها التي تسكت عليها وتغض عنها الطرف، أو تغلو في انهزاميتها؛ فتتافق وتتقرب وتداهن، أو للمترفين أنفسهم الذين يُعَمِّي الثراء الفاحش وما ينبثق عنه من ممارسة مرضية بصائرهم ويطمس على أرواحهم، فيسحق كل إحساس أخلاقي أصيل في نفوسهم. وابن خلدون يرى أن حياة الترف من أهم الأسباب لتدهور الحضارات، بل إنه يعتبرها بمثابة الحضارة المفسدة للعرمان، وقد كانت السبب في انهيار معظم الحضارات؛ فكانت حياة الحكام وطبقة النبلاء وطبقة رجال الدين في تلك الحضارات حياة بذخ وترف.<sup>54</sup>

#### رابعاً- تساقط القدوات ووهن الأمة:

ومع كل ما ذكرنا سابقاً، فإن أصحاب الرأي والمشورة وذوي العلم والقادة وأصحاب الفكر يصابون بالوهن مع كل تلك الرياح والعواصف الحضارية والفردية المقيتة، فالخطورة حين يصبحون هم دليل الناس، ومن ثم فإن استجاباتهم لكل تلك المتغيرات تكون سلبية؛ حيث تنتقل للأمة بسهولة؛ وذلك لأنهم القدوة، فقد كانوا يمثلون كل تلك القيم ويعملون على إذكاء روح الفكرة، وهم في الوقت نفسه إن أسقطوها، فقد أسقطوا معها كل بواعث اليقين؛ لذلك ينصح الباحثون العلماء والقادة أن يتظاهروا بالخير والفضيلة، ولو كان هذا غير صحيح، وبناء على ما سبق سنتطرق لمراحل التفكك والسقوط وتحليل عناصرها:

- إن ضعف الطاقات الإبداعية للفلاسفة والمفكرين والعلماء هو من أسباب انهيار الحضارة، وهذا

السلطة مع الفكرة، وحين تزداد الأطماع للسلطة ترتفع المادة وتتفرد، وتنخفض الفكرة؛ لتقود حراك الدولة التاريخي، فالرفاهية لا تتسبب في ظهور المصالح والمنافع للناس ولكنها تسبب فقدان كثير من الصفات والخصائص النفسية والاجتماعية؛ لتهوي بالنفس في اللذة والرغبات، والتهاون والكسل والنكوص الحضاري، فالتفنن في شهوات البطن والمأكَل يفضي بهم للانهيار ويكون هو عين الفساد.<sup>51</sup>

ثم يصل المجتمع للجمود والتقليد ويبدأ المجتمع في التغيي بما كان من أجداد الأجداد، ثم يبدأ التصارع بين سلطة المال والقوة والمعارف، فتسود القوة وينتشر الكبت والظلم، وتستسلم الأمة إلى اليأس واللامبالاة<sup>52</sup>، وتتوقف أخيراً كل محركات الطاقة والفاعلية ومع كل هذا الرفاه يلجأ الناس للمادة البحتة ويصاحب هذا سقوط القدوات وقلة مقاومتهم في المجتمع أو تقوقعهم وانعزالهم، وهو من أسباب ضعف الأمة حيث يضعف دورهم في المجتمعات.

وها هو الزمان يكرّ بحضارات مادية متفننة بصنوف الملذات حياة صاحبة تَمَائيل سَكر من كأس المتع ويتفنن الناس فيها بالزينة والمفاتن المادية المهلكة والخائبة؛ فالحضارة تصبح كأغطية سوداء تحجب عن الناس رؤية الطريق القويم والبرهان الجلي فيقعون في التطرف والاغترار بالدنيا<sup>53</sup>. وما تلك الأمراض والعلل إلا نتيجة ضعف الدفعة الدينية وسكون ريجها التي كانت سبباً رئيسياً في بناء الصرح الحضاري، وفقدان القيم الروحية والفضائل الخلقية والدوافع الإيمانية، حينها يصبح الإيمان إيماناً جديداً دون إشعاع ولا فاعلية؛ أي نزعة فردية سلبية خالية من كل دافعية، فيظهر مجتمع جديد ذو خصائص ومعالِم واتجاهات جديدة ومنحرفة عن سابقاتها، ثم تنتهي معه الحضارة إلى وعدها المحتوم

ويتهدي بمدارك فكره البشر؛ وذلك بالأخذ بالعلوم العقلية والنقلية<sup>57</sup>.

### المبحث الثالث: مظاهر السقوط الحضاري:

لقد شهد التاريخ سقوط حضارات وإمبراطوريات عظيمة اختفت من الوجود ولم يبق منها سوى أحجار مطمورة تحت الأرض بُنيت على أنقاضها حضارات أخرى وأحجار وآثار، تحكي لنا حكايات شعوب خلت وحضارات سقطت وجمعت بقاياها في المتاحف والقصور، لتعيد كرتها من جديد في مجتمع آخر وليس بالمجتمع الوليد، فالتاريخ الإنساني حلقات متسلسلة تشكل الحضارة إحدى وحداته، فهي في سيرورتها لا تسير في تقدم ورقي مستمرين، بل تجري إلى تأخر وانحطاط، حيث إنها تسلك دورات مستقلة، لكل منها مراحل تقدم ورقي، ومراحل تأخر وانحطاط؛ فالحضارة تنتقل من الصيرورة إلى الصير، وتنقل من عصر النمو والحركة والنشاط والفاعلية إلى عصر خاتمة الحضارة ومرحلة السكون والجمود. إنها الموت يتبع الحياة<sup>58</sup>، إنه السقوط الحضاري، وله عدة مظاهر ومنها:

#### أولاً- انعدام تكوين الشخصية الفعالة:

يتحدث توينبي- في نظريته الحضارية- عن نوعين من التفكك الداخلي: تفكك رأسي؛ ويقصد به تفككا سياسيا، وتفكك أفقي؛ وهو ما يصيب الأمة من انحلال وتفرق في المجتمع، وهو من أسوأ ما يصيب الأمة من تفكك؛ حيث يؤدي للعجز والوهن؛ بسبب احتكار الطاقة الإبداعية بيد الأقلية وفقدان الوحدة الجماعية<sup>59</sup> ليس بسبب حكم الطائفية والمذهبية والحزبية، ولكن لأن ذلك العجز يصل إلى داخل مكان الشخصية الإسلامية؛ فيجعلها تنحرف عن كل مميزاتها الخلقية والنفسية والاجتماعية ليصل بروحها الفعالة إلى حالة من الهرم والشيخوخة، وهذا ما أشار له فرويد بأن

يعود للضعف في الإبداع والإنتاج لهذه النخبة أو الأقلية، فإن الغزو الأجنبي يجدها فرصة للإطاحة بهذه الأقلية وإزاحتها من الساحة، وتهيئ الفرصة للإطاحة بالحضارة<sup>55</sup>، وقد تحاول قيادة الأفكار أن تقيم ولاء للقيادة السياسة المنحرفة، فتذوب في السياسة، فلا يصبح لها أي مصداقية، فتترجل من مقامها، أو قد تقود انتفاضات وانهيارات ضد السياسية، أو ربما قد تتحد مع الأمة لتكون رافدا للحضارة كما هو الحال في تركيا الآن. وابن خلدون يقسم مراحل الحضارة إلى أربعة أقسام:

- الجيل الذي يبني وينشئ ويطور.
  - جيل ينعم بالمكاسب والخيرات والعصبية.
  - جيل الرفاهية والدعة.
  - وجيل الانحلال والتفكك؛ حيث تبدأ الحضارة في الانهيار<sup>56</sup>، فينهار القادة معها؛ فيتخلون عن مسؤولياتهم وواجباتهم، وتضعف العصبية، ويتم استبدالها بأطراف من الخارج.
- ويظل الأمل أن الأمة لو استطاعت تخطي التهاوي الحضاري وحققت مقومات الانطلاق الحضاري من جديد، فرما تستطيع التعافي من جديد، ولن يستطيع أن يقوم بهذه المهمات إلا أناس من داخل الأمة نفسها وبفكرة حضارية داخلية ليست مستوردة، ولا بد من التركيز على إصلاح الإنسان حتى تستطيع الأمة التعافي، وتتمكن من الخروج من غفوتها، وتعيد هماتها العالية وإرادتها لإصلاح الحضارة والتغيير لمساوئ الفساد ومكانم الخلل، ثم الاتجاه لإصلاح كل المظاهر الاجتماعية الأخرى؛ فينتشل الأمة من النكبات ويحل الأمان والإيمان لتضخم الإيجابية، ولا بد من تمثيل قادة للفكر ليكون قدوة للأمة؛ لتتمكن من المضي في التغيير، وتعمل على دفع عجلة التطوير الحضاري

تصنيفها دوافعه للنشأة الحضارية وقيادتها، ويُقصد بها الجوانب النفسية والاجتماعية التي يتميز بها البدوي واللازمة للتحضر والسعي الدؤوب لذلك، وعلينا ألا نخلط بين البداوة؛ وهي المعيشة عكس الحضارة، وما لدى البدو من خصائص نفسية والدوافع والخصائص الاجتماعية<sup>64</sup> والتي تجعل الأمة الإسلامية مؤهلة للتحضر والغلبة والفعالية الحضارية، والتي تتشوه برواسب التقدم والتمدن.

#### ثانيا- ضمور الفكرة الحضارية:

مما لا شك فيه أن الأمة الإسلامية ابتليت بمراحل من الضعف والاستكانة، ومع ذلك يظل حلم عودتها ونهوض الأمة الإسلامية أمرا واردا في أي وقت وأي زمان، فقد نتفاجأ بتحول خصائص الأمة الخلقية والنفسية والاجتماعية وتبدل كل يأس فيها واحتقارها لذاتها وكل تلك السلبيات، لتتحول إلى اندفاع وثقة وأمل عريض، فيتقدم المجتمع المسلم بكل ما من شأنه أن يزرع الفاعلية ويحرك المعطل، فكل تلك النكبات المتكررة والهزات المتوالية جعلت العوامل السلبية تضرب بجذورها في عمق جسد الأمة، فجعلتها تنحرف عن مسارها التاريخي الحضاري، وكان أخطرها على الإطلاق ضمور الفكرة وخمودها؛ فأفكار الأمة الحضارية هي جهاز مناعتها، وتعرضها لجراثيم الأفكار والتقليد وفطريات الانسلاخ من الهوية- رافق كل هذا خمود الفكرة الحضارية، وتمثل في مظهرين مهمين: سيادة الفكر المادي؛ وذلك بتخلي أصحاب الرأي والقادة والعلماء، وتخلي كل النخب عن الفكرة فيما عدا القشور والمظاهر والتقاليد البالية المادية، فحلّ الشك حولها وافتقد اليقين وتم سحب الأفكار تدريجيا، ثم إن الفكرة لم تظهر إلا في جانبها التنظيري والمجرد بعيدا عن أي تطبيق واقعي؛ حيث يتم تداولها ودراستها نظريا،

الأمم تصاب بأمراض عضال عصبية، فتشمل الباقي منهم تدريجيا، وكأنها عدوى جرثومية ومن ثم تعجز عن تحمل مهمتها الحضارية. إن انحلال الأمة كفيل بطمس الفاعلية وكسر الصلابة النفسية، وتشويه كل خصائص الأمة الإيجابية حتى تصل بها للجمود والركود، وإن بوسعنا عند تشخيص الأمراض النفسية العصبية الجماعية أن نشخصه من خلال المرض عند الفرد أولاً وذلك من خلال بيئته التي ساهمت في الوصول للتأخر الحضاري<sup>60</sup>.

مالك بن نبي يعتبر الأفكار كالجراثيم التي تنتقل الأمراض المجتمعية والتي تنتقل من جيل لآخر بطريقة امتصاص هذه الأفكار حتى تصل لمرحلة الانفصال عن عالمها الأصلي؛ فعلى المجتمع الإسلامي اليوم مهمة كبيرة ليحقق التحرر والنهوض الحضاري؛ عليه أن يستعيد أفكاره واستقلاله في ميادين الأفكار؛ لأنه لا يمكن لمجتمع أن يتقدم ويحقق إنجازات بالأفكار المستوردة والدخيلة<sup>61</sup>، فالإنسان الفعال بالفكر والمتمسك بالعقيدة والإيمان لا يستسلم ولا يتعرض لليأس، مهما كانت الظروف صعبة، فهو يستشعر أنه يؤدي واجبا عظيما، فقد كلفه الله بالخلافة في الأرض، فعندما يكون الدين صحيحا وهو منطلق الفكر؛ فإنه تتحقق أعلى معايير الفعالية ويحقق شبكة روحية مترابطة بين أبناء المجتمع<sup>62</sup>، فقد أخضعت الفكرة الإسلامية الطاقة الحيوية للعربي البدوي لنظامها الدقيق، لتسمو به إلى أعلى مستوى حضاري، وهناك مواقف كثيرة من السيرة النبوية تشهد بذلك، فقد أظهرت الفكرة الإسلامية فاعليتها في إعادة وتنظيم وتهذيب الطاقة الحيوية لذلك الإنسان<sup>63</sup>.

وابن خلدون كان دائما يطالب بوجود فطرة الرجل البدوي لوجود دوافع الخير فيه وتوجّه الغلبة، وهو ما

فتصبح مفرداتها ممجوجة ومملة للكثيرين. والمظهر الثاني لانسحابها في وجود تناقض بين الواقع المعيش وبين تحليلات الفكرة، والأسوأ من هذا وذلك أن تظهر نظريات تُصادم وتناقض الفكرة الأصلية كردة فعل لكل تلك المظاهر، فتمكن الأفكار المستوردة من الحلول بدلا عن الفكرة الأصلية، ويساعد الانفتاح الحضاري على استيراد حضارة جديدة وثقافة أجنبية أدت لهيمنة سائدة، فأصبحت الفكرة الحضارية موضوعا للتفاوض والرد في أكثر الأحيان، وأُصيبت بالتقوقع والنكوص على الماضي والتوقف عنده<sup>65</sup>، وظهرت وكأنها معاكسة لمجريات الحياة الجديدة، ويتطور الأمر للوصول إلى مرحلة - كما يقول توينبي - لفرض الفكرة الجديدة بالقوة على الأمة المنهارة والمتهالكة وبشكل يعاكس تماما الفكرة الأصلية، ومثال ذلك: فرض (البروليتارية الصينية في المهيانكاكين جديد بدلا عن البوذية).<sup>66</sup>

وأزمة الفكر العربي لا زالت تدور في حلقة مُفرغة منذ منتصف القرن التاسع عشر، وهو يعكس أزمة فشل ذريع؛ فهو لا يتقدم ولا يبدع، وقد ارتبط بتغير اجتماعي ساهم في نكوصه، فكانت التبعية للحضارة الأوروبية<sup>67</sup>، كما أن انسحاب الفكرة توافّق مع انهيار أخلاقي وقيمي. وتكرر فشل الفكرة، وكثرة سقطاتها، وبعدها عن الواقع المادي والمعطيات الجديدة، وعدم مرونتها أمام مستجدات العصر - فقد انتهى الأمل وتبدد، وسقط اليقين، وهوى في يأس محيط محاط بكل تلك السلبات<sup>68</sup>.

### ثالثا- تراخي التحديات وغلبة الدعة والرفاه:

إن الحضارات إذا أرادت أن تحافظ على نفسها من السقوط، فعليها أن تحقق استجابات ناجحة لجميع التحديات، والوفرة تعمل على التغلب على التحديات، فتشرع الأمة في الراحة والدعة، وتحاول الأمة - أثناء

ذلك - أن تخلق تحديات مفتعلة نحو كثير من الحاجات التي تدخل ضمن الكماليات؛ لأن الضروريات مشبعة في الأساس، ويشمل هذا النوع من التحدي في العلوم والتقاليد والشعائر والفنون تدريجيا، حتى يصبح التعلق بالمظاهر والزخارف والزينة هو هدف تلك التحديات وغاياتها، وهذا يولد التهم في شتى المجالات، وخاصة الاقتصادية. صحيح أن تلك التحديات المختلقة تولّد المنافسة وتنفجر الإبداع، إلا أن آثارها وخيمة في خصائص الأمة النفسية؛ فالجدير بالذكر أن معظم من بحثوا في الحضارة وجدوا أن الانغماس في النعيم والترف يشوّه كل خصائص رجل الحضارة المحركة للعمل الحضاري؛ فالتحدي لا يعطي ولا يثمر بالنسبة للعقول الكسولة والإرادات الضعيفة، لكنه يعطي الكثير من الإنجازات للعلماء والمبدعين ورجال التاريخ<sup>69</sup>، فبمقارنة الرجل البدوي البسيط المقتصر على ضرورياته، وبين الرجل المنعم ذي الترف والرفاه من حيث الإرادة والتحكم الذاتية - نجد أن الحضارة عند رجل الترف تذهب أدراج الرياح مع الرفاهية والدعة، بينما تظل متوهجة وعلى أعلى مستوياتها عند الرجل البدوي؛ فالسهولة عدو الحضارة<sup>70</sup>. حتى يظل شعاع الحضارة وهاجئا؛ لا بد من الحاجة والزهد وقلة الإشباع؛ لأن وجودها مرتبط بالإشباع؛ لأنه بالإشباع تحبو الطاقة وتحمد الإرادة، فالرفاهية هي هدف للحضارة وهي في نفس الوقت مثوى لها؛ حيث تبدأ عملية التدهور والسقوط والانحدار<sup>71</sup>. ربما يقول أحدهم: إن هذا لا يستقيم؛ فاعتبار الرفاهية سببا للفساد كلام غير منطقي! صحيح أن كل غاية حضارية هي تأمين الرفاهية لأفرادها، لكن حد الوفرة والترف يصل بتحقيق الرضا، وهذا الرضا قد يتحقق عند الأفراد بالوصول لكل شيء، وهو بالطبع يولد الملل والضجر، ويدعو للكسل

والخمول العقلي والجسدي، ويقتل الطموح والحافز والدافع، ويتجاوز الاكتفاء، وبين إفراط وتفریط تضعيع الحضارة<sup>72</sup>، فيقتضى على التحديات، وتغرق الأمة في ملاحقة الرغبات والحاجات غير الضرورية والوصول للإشباع الأقصى، ويشيع هذا الشعور في كل العلوم والفنون أيضاً، فتصبح شكلية وللمظاهر فحسب، فتختفي قيمتها الجوهرية وتظهر البلادة والكسل. إن الكفاح في الحصول على الشيء يُعطي طعمًا آخر، ويزيد الدافع، فتتقد الإرادة، والمعروف أن معظم الثقافات تعمل على أن تسهل كل المتطلبات، فتجعل الإرادة أقل والحافز أضعف، فطور الحضارة هذا يشيع فيه الترف والرفاه وتشيع معه أمراض نفسية وعصبية، ويصدر عنها أمراض مجتمعية خطيرة<sup>73</sup>، وتبدأ في الأفراد، فتضمحل عندهم النزعة الفردية للفكرة الحضارية ثم تصل للجماعة.

#### رابعا- انكماش النزعة الجماعية:

تبدأ علل الانهيار السالفة الذكر في هذ النزعة الجماعية التي هي نتاج جماعي لعلاقة الإنسان بالإنسان؛ حيث تتكون روابط مشتركة بين أبناء المجتمع، متمثلة في العلاقات الاجتماعية التي هي ركن أساسي من أركان الحضارة. فالمعروف أن الفردانية تميل للأنانية وتنحاز للمصلحة الشخصية، وأن الإرادة الفردية الأنانية التي تشيع بين أبناء المجتمع عادة ما تصطدم بالآخرين<sup>74</sup>، ولا مجال لبناء صرح حضاري قوي إلا بالتوازن والتعاون والترابط بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية، فالإيمان بالفكرة من الجميع ضرورة جداً لتحقيق الجماعة للمنجزات وتحقيق العصبية الحضارية، ولا أفضل من لُحمة القيم التي تكسر الحدود وتوحد الأهداف؛ حيث تبدأ الجماعة في التخلق بروح البذل والتضحيات ويتولد الولاء، فالقيم إذا توطدت

بين الجماعات تجاوزت التحديات، وعندما تكون الفكرة منطلقة من القيم والمبادئ التي يؤمن بها أفراد المجتمع، فإنها تتركس للوعي الجماعي للأمة، فيتجسد في السلطة المادية في نظامها الاجتماعي، وينسجم القانون مع الإرادة الجماعية<sup>75</sup>، وتُستغل تلك الإرادة والهمة في البناء والإعمار؛ فتحمي قيم الأمة ومصالحها، فإذا بدأت منافسة المصلحة للفكرة، حينها تبدأ الفكرة بالانسحاب، وتبدأ تلك القيم بالضمور والانكماش، وتستولي المصالح على الأمور، والنزعة الفردية تصبح هي السائدة، فتنتقل الأنانية وتنخر في نواحي المجالات، وتسود في المؤسسات المادية البحتة، وتنحسر النزعة الاجتماعية الواحدة المترابطة، فيتفكك المجتمع، وتنهار روح الأمة الجماعية، وتُعطّل كثيرٌ من المصالح، ويسود الكسل الوظيفي، وتنعدم الثقة، ويستوطن اليأس، وتعم البطالة ولا يُعطى أصحاب الحق فرصهم؛ إذ لم يعد الهدف مصلحة الأمة المتمثلة في الإنسان، ولكن المهم هو زيادة الإنتاج والربح<sup>76</sup>، وتتوطن الفرقة الداخلية والتمزق؛ فلم يعد هناك طاقة لازمة لشحذ الهمّة حتى عند أصحاب الهمم، وتسود فكرة المطالبة بالحقوق أكثر من فكرة أداء الواجبات<sup>77</sup>، وينفلت عقد الترابط الاجتماعي والضمير الإنساني، ليبدأ سلب الآخرين حقوقهم والإفساد في المؤسسات، فيسود الظلم، وينتشر الفساد. فالحاجة ماسة لتنظيم طاقة الفرد المسلم وتوجيهها لما يخدم الصالح العام الاجتماعي، وهذا لا يتم إلا بتطبيق تعاليم القرآن، ووصول الحقيقة القرآنية لضمير المسلم كأها نزلت من فورها؛ فالثنية الاجتماعية لا تبلغ سموها وكمالها الخُلقي والحضاري إلا بهذه العلاقة التبادلية بطاقة فردية مندفعة، يقابلها ضمانات اجتماعية يكفلها المجتمع لأبنائه، وهذه هي الحضارة<sup>78</sup>.

## خامسا- استشرء الظلم والفساد:

يعتبر الظلم من أبرز مظاهر سقوط الحضارات، وله مفهوم شامل عريض يؤدي إلى فقدان التوازن في كافة مجالات الحياة وفي علاقات الإنسان مع نفسه ومع الله، وتحقق روح البذل والعطاء والتضحية، ويكرس الفكر الجماعي حينما يسود العدل، فإذا ما سطت المصلحة الفردية على الفكرة وسادت، ضمرت الفكرة، وخفتت القيم، وتوهجت الفردية، وانطلقت الأنانية، وشاعت المصالح الشخصية، وتحدّرت النزعة الجماعية. والملاحظ في المجتمعات أن وجود النزعة الجماعية المترابطة واحترامها والتمسك بها يكون في الطبقات العامة الشعبية أكثر من البيئات الأخرى؛ لأنه تجمعهم مصالح وأهداف مشتركة؛ فحينما تنحسر النزعة الاجتماعية التي لها سند مادي قوي، تضعف الجماعة بتعطل المصالح الجماعية؛ فالمعروف أن أغلب حركات التغيير التي ظهرت في المجتمعات الإنسانية، إنما كانت احتجاجا على الإدارة السياسية؛ لتفشي الظلم والفساد، فالاعتداء على الناس في أموالهم ومطاردتهم في أرزاقهم تدفعهم إلى محاولة تغيير الأوضاع التي يعيشونها، يقول ابن خلدون: "وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب والعمل، فإذا كان الاعتداء كثيرا عامّا في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك؛ لذهابه بالمال جملة"<sup>79</sup>. إذن، ما نلبث أن نرى الولاءات تتساقط وتيمم الأفراد إلى السليبات، إذا زادت خيبات الأمل وساد الظلم والخطورة، فيصبح الحُسران هو نتاج التجارب ويغلب اليأس؛ فتصبح تلك التحديات التي من المفترض أن تضمّ الشتات هي وسيلة للتفتت الداخلي، إذا لم توجد الطاقة اللازمة للثبات في وجه تلك التحديات، ومع سيادة المدنية تتغير الصفات الاجتماعية ويبدأ الانحراف

الجماعي ويسود الظلم والإفساد، ولا يكون مظهرهما في السلطة السياسية فحسب، وإنما يشمل كل المؤسسات- أفرادا وجماعات-، وهي ظاهرة خطيرة؛ لأنها تعني أن الأمة تموت من الداخل؛ إذ يسود الجبروت، ويُسلّح به ضد الأفراد والجماعات.

إن مؤشر استشرء الظلم والفساد في المؤسسات القضائية؛ إشارة لانتشاره بين أفراد المجتمع، وإنما الفساد الإداري والقضائي أوضح وأجلى في وعي الناس؛ لأنهما يتلازمان في اعتقاد المجتمع بالنصرة والمعونة والإنصاف لا العكس، وهما ملاذ الناس لأخذ الحقوق ومردودهما سلب في هدم الحضارة وتهاوي بنيانها كما قال ابن خلدون: إن "الظلم مؤذن بخراب العمران"<sup>80</sup>، فالعادة أن الأمة المنهزمة والمتداعية تردّ ذلك الانهيار إلى مؤسساتها الإدارية والقضائية؛ فهي من تقع عليها المسؤولية الكبرى، وإليها تكون المساءلة، ومن ثمّ كيف لمجتمع مثل هذا أن تقوم له حضارة، وقد اختلّ فيه ميزان العدل، واستشرى الفساد؛ فسنة الله تقول بالانهيار الحضاري؛ فالمشروع الحضاري الذي لا توحيده الجماعة ولا تحركه القيم هو مشروع فاشل بجدارة؛ إذ إن هذا المجتمع يبدأ في التفكير في المكاسب والمصالح الشخصية بعد انسحاب فكرته، ويصبح الميزان لصالح من يملك أكثر ولئن بيده السلطة والقوة، فتتفشى صور الانحرافات في السلوكيات الاجتماعية في شكل فساد وظلم وسلب حقوق الآخرين، والظلم لا يُخفي قوة أبدا بقدر ما يُخفي ضعفا وخوفا من المنافسة؛ فيحاول صاحبه الوصول لما يصبو إليه من أفكار سلبية تنعكس مظاهرها في المجتمع، فتبدأ الانتهازية وسرقة مجهودات الآخرين، وتعطل بذلك الدافعية، وتشحّ فرص العمل، ويتمثل الفساد في مظهرين اثنين: المظهر المادي الملموس؛ ويتمثل في: الرشوة، والمحسوبية، والاعتداء على الآخر، والمظهر

المعنوي. وأما ما يخص المظهر المعنوي الأخلاقي، فإنه أسوأ وأكثر هدمًا لبناء الحضارة، فهو يُعطل الدافعية؛ فيضعف النازع الجماعي، ومن ثمَّ لا تكون هناك مقاومة لكل التيارات الجارفة الهدامة التي تأتي من الخارج.

ويؤكد ابن خلدون أن الظلم يؤثر في بنية المجتمع وتماسكه، ويفضي إلى تدمير نسيجه: "لأن الظلم مؤذن بخراب العمران المفضي لفساد النوع"<sup>81</sup>، مما يدفع أبناء هذا المجتمع إلى المطالبة بالتغيير، موضحاً أن العدل أساس قيام الدول والحضارات، وهو مرتبط بنجاح سياسة الحاكم: "الرعية عبيد يكتفهم العدل، العدل مألوفٌ وبه قوام العالم"<sup>82</sup>. ومن آثار الظلم: اختفاء الحق والعدل في توزيع فرص العمل في مجتمعاتنا، وهو الأمر الذي ولّد ردود فعل كالتطبعة مع أي فكرة إنجاز أو حضارة، فقد انشغل الناس بتأمين حاجياتهم الضرورية في ظل كل ذلك الفساد والبطالة واكتساح الشركات العالمية، بينما أفراد السلطة الحاكمة وحاشيتهم ينغمسون بالترف، وبازدياد نفقاتهم تزداد فئة الشعوب فاقة وحاجة، ويرى ابن خلدون أن الفقر يهلك بسبب ترف الغني والمترف الذي يستغرق عطاءه في ترفه، وهو يرى أن الترف يصبح مفسدة للأخلاق؛ فإن النفس مع الترف تتلون بألوان من الشر والفسق<sup>83</sup>، والنتيجة انتشار الجريمة والقتل والسرقة، وتبدأ الأنظار تتجه إلى مغريات أخرى بالهجرة للخارج؛ لوجود بيئة صالحة وجاذبة لكل المتميزين الذين لم يجدوا مطامحهم في أوطانهم.

#### سادساً - القابلية للاستعمار والشعور بالنقص:

لا شك أن الشعور بالنقص والشعور بالذل هو شعور قاسٍ جداً على أي أمة، بل إنه أقسى من الظلم نفسه، وقد تأصل في الأمة حتى جعلها تشعر بأنها أقل من الآخرين، فاعتادت ممارسات الظلم والقهر والنقص في متطلبتها الأساسية حتى قتل في الأمة إحساسها بذاتها.

ابن خلدون - بحسه التاريخي - لا يؤمن بالأخذ بظاهر العلل والظواهر كما هي، ولكنه يتعمق لمعرفة أسبابها؛ لمعرفة كيف وصلت الأمة إلى كل هذا الذل والانقياد، وقد لاحظ أن بذور الهزيمة وشعور النقص تُسقى بمكتسبات التمدن؛ فالحياة في المدن والرخاء يولد حقيقة التكاسل والانقياد وراء الطلبات والرغبات<sup>84</sup>، وصحيح أن التمدن والرفق والرفاه ركن أصيل في مرافق الحضارة، لكن يحوله لمطلب وتقليد يأخذ من الأمة بأسها وأنفتها، فيصبح ديدنه الإذلال؛ للحصول على المطالب والرغبات. وابن خلدون يقول: إذا كانت المملكة رفيقة بشعبها، ولا يعاني منها أحد، ولا ترد ولا تصد شيئاً منهم، فكأنما تذوب فيهم الشجاعة والإقدام تدريجياً فيصابون بالذل، وإن كان العكس، وحُكِمَ بالسلطة والسطو والقهر والخوف، فتكسر صلابتهم وشوكتهم ويصلون لشعوب وقلوب مضطهدة<sup>85</sup>، وتصبح الأمة غرضاً سهلاً، وتكون عاجزة عن المقاومة، وتسقط في مطبات الشعور بالنقص والقابلية للاستعمار، ويصبح مسلكتها السلبي هو مسارها الطبيعي، ويتحول الخنوع إلى ظاهرة شائعة تلازم معظم الأمة، ويقتاتون اليأس ليصبح مسوّغاً للاستكانة والعجز، فلن تُهزِمَ التحديات أمة إلا إذا كانت الأمة مهزومة نفسياً. وحتى لا تصبح المسلمين مستعمرين ولو بشكل معنوي؛ يجب أن يتخلص المجتمع المسلم من القابلية للاستعمار والنقص، وفيدأو بالتخلية قبل التحلية؛ ليكون هناك مشروع إسلامي حضاري، فالأمة تعيش حالة من الإذلال والاستكانة، فكم حصدت من النكبات وخيبات الأمل، فأصبحت صيدا سهلاً، فسقطت في مطبات الهزائم النفسية؛ فالمعاناة في العالم الإسلامي تكاد تكون مؤبّدة، فقد أصبح حالها المألوف، وغرقت فيه العامة والخاصة من الأمة، وتموت النفس الإسلامية كل يوم

ليبرز فيها اليأس والقنوط، ويستعمرها الذل والهوان، وهذا كله؛ لأنها استنفدت فكرتها ورأس مالها في مواجهة المحن والصعاب، فلا يمكن لأمة أن تصل للهزيمة النفسية إلا إذا استنفدت كل طاقاتها الداخلية وهُزمت نفسياً، فلا بد من التخلص من الانحطاط والشعور بالنقص لإعادة صرح الحضارة وانبعاثها من جديد<sup>86</sup>.

ويرى مالك بن نبي قضية "القابلية للاستعمار"؛ أنها مسألة نفسية، وعلى أفراد المجتمع تصنيفيتها من الداخل؛ لأنها تعمل على تحطيم عبقرية الفرد وقواه الكامنة والخط من قدراته، فهي تطفئ النور الحضاري عن الشعوب لترجعهم لعهد العبودية والسبات<sup>87</sup>. وعلى ذلك فالحضارات لا بد لها من تحقق الحرية والانعقاد من براثن الاستعمار الداخلي والخارجي؛ فالأمة تعيش استعماراً وهيمنة خارجية ثقافية واقتصادية وسياسية<sup>88</sup>، والمجتمعات الإسلامية مكبلة بالعملة وهي تستورد أدوات الحضارة من الغرب وتكدسها، والإنجاز الحضاري السليم يقاس بمقاييس الموضوعية والفعالية وهي التي تمكن الأفراد من ربط الفكر بالعمل؛ للقضاء على الجهل والفقر، وأهم من هذا وذاك القضاء على الاستعمار بتغيير النفس، فحتى تتمكن الأمة الإسلامية من بناء نظام اجتماعي حضاري؛ ينبغي أن تكون لديها أفكار جديدة عن العلاقات التي تنظم استخدام الطاقة الحيوية على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة. ومالك بن نبي يرى أن تكون المجتمعات الإسلامية فعالة؛ فإن المجتمعات الإسلامية لم تُنشأ ثقافة النقد والتحليل في ثقافتهم، فهم يقومون بنهضة لم يخططوا لها ويعيشون في حالة خلط بين الأصالة والفعالية؛ فالأصالة هي مستقلة عن التاريخ، فالفكرة حين تكون صحيحة تحتفظ بأصالتها، بينما الفكرة يمكن لها أن تفقد فاعليتها مع بقاء أصالتها وصحتها<sup>89</sup>.

ويؤكد مالك بن نبي أن المجتمعات الإسلامية تحتاج لتصفية وترشيح لمنظومتها المعرفية لكل ما يشوبها من أفكار مميته، جعلتها تنحرف عن مسارها الصحيح، وولدت في الأفراد القابلية للاستعمار وأفكاراً قاتلة أفقدتها هويتها وثقافتها الأصيلة، وجعلتها تظل في مكانها فولدت الاستعمار<sup>90</sup>؛ إذن، لا بد من حركة تغيير جادة لتنقية ثقافة الأمة وتبصير الأمة بأمراضها لتغيير وجه التاريخ، وإزالة كل العقبات أمام حضارة إسلامية وفجر جديد، وهذا هو ديدن كل الحضارات الكبرى في التاريخ، ووجوب الاعتماد على النفس، والتخلي عن أحلام الآخر المنقذ، والتخلص من الشعور بالذل والخضوع والقابلية للاستعمار.

ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

#### - الخاتمة والنتائج:

إن الحضارات الإنسانية هي نتيجة لجهد إنساني مشترك، وكذلك التشارك بالإرث الحضاري الذي يعيشه عالمنا. ودور الأمة الإسلامية أن تحفز قدرتها وأفكارها لتطهر نفسها من كل أسباب الانحطاط والانهيار، وتخلق الأمة بخلق الحضارة في أكمل صورها؛ لإحياء الفكر وخلق الدافعية، لتتكون شخصية إسلامية تمتلئ بأسباب النهوض وتنفض عن نفسها كل عيوب الرفاهية وكسل الراحة والدعة التي أدت بها إلى النكوص الحضاري، ولا بد من تقوية صلة الفرد المسلم بفكرته الحضارية التي تجمع الأمة حولها، عندها فقط تتأكد المجتمعات الإسلامية من أنها تستطيع نهوضاً حضارياً؛ فيحقق المسلمون ما يصبون إليه، ويعود للحضارة الإسلامية عزتها وقوتها، فلاحضارة وجسد الأمة ممزق ومُتخَن بالجراح، فهي فرصة لمعالجة الأسباب الداخلية المعيقة، والوصول إلى الأسباب الخارجية، وهي أسهل

من الداخل من خلال الغوص في غور الشخصية الإسلامية وإصلاح ما اهتز وتمزق.

2. بناء شخصية مسلمة سليمة مبرأة من عيوب التخلق الحضاري، وتوثيق صلة الإنسان المسلم بفكرة حضارته الدينية الجامعة.

3. استغلال التحديات المحفزة للتخلص من أمراض الانهيار الحضاري بتفعيل الفعالية المرتبطة بالعقيدة والقيم.

4. معالجة عوامل التدهور والانهيار من عيوب الترف والظلم والفساد والعجز والكسل.

5. تركيز البحوث العلمية والأكاديمية على مثل هذه المشكلات والتصورات الخلاقة؛ لبناء أخلاقيات حضارية قوية البنيان، لتكون المرتكز الذي نبدأ من خلاله اعتماد رؤى مستقبلية لتلافي عوامل الانهيار والانحطاط.

#### - قائمة المصادر والمراجع

1. ابن خلدون عبد الرحمن / مقدمة ابن خلدون / عبد الرحمن ابن خلدون: (المقدمة)، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الثانية، (هـ 1416، م 1996).
2. ابن خلدون عبد الرحمن / تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (732-808هـ) / اعطني به أبو صهيب الكرمي / بيت الأفكار الدولية: الأردن.
3. أبو سليمان عبد الحميد أحمد أبو سليمان: اختيار الحضارة الإسلامية وإعادة بناءها الجذور الثقافية والتربوية، المعهد العالي للفكر الإسلامي هرنند - فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية (1401هـ - 1981)، ط1 (1437هـ - 2016).

بكثير؛ فالداء الداخلي أصعب وأشد وطئًا وإيلامًا وأثرًا من الأسباب الخارجية، ولكن لا بد من أن تتيقن الأمة من أن لا شيء يجعل منها قوية مثل الألم، وأن مرحلة النهضة هي مرحلة يسبقها الانحدار والسقوط، فالنهضة الحضارية قادمة، ولكن لا بد من إيقاظ مقدماتها في الأمة، والله تعالى أعلم.

#### - النتائج:

- من أسباب التخلق الحضاري أن تجتمع الأمة الإسلامية على فكرتها الدينية التي تساعد على التوازن الداخلي وتعزز إرادتها للبقاء.
- لقيام الحضارة واختيارها أسباب متداخلة سياسية واجتماعية وأخلاقية واقتصادية.
- الفكرة الجامعة تعزز الولاء الجماعي وتنشئ الحضارة، وهي رابطة معنوية.
- تعمل التحديات على صياغة الصفات النفسية لرجل الحضارة وهي محرضة لقوى العصبية الجماعية.
- تؤول الحضارة للاختيار، عندما تنسحب الفكرة ويسود الظلم ويتسرب اليأس ويترك الناس إلى الدعة والكسل.
- الدوافع السلبية تنطلق من الفساد الأخلاقي والأنانية واليأس والإحباط، وقد أدت لخمود الطاقة الحضارية والانحطاط.
- إن من أسباب الانهيار الحضاري في الرؤية الإسلامية: الشرك، والنفاق، والترف، والفسوق، والطغيان، والاستغلال، والمكر، والاعتزاز بالنفس، وعدم الاستقرار، والأنانية، وترك العمل، واتباع الباطل؛ فالشرك والنفاق ينزعان اليقين من القلب.

#### - توصيات البحث:

1. على الشخصية الإسلامية أن يكون لها دور في التخلق الحضاري فهي صاحبة حضارة، والإصلاح يبدأ

4. اشبنجلر سولد ، تر: احمد الشيباني تدهور الحضارة الغربية، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، (1964م)
5. ألبرت اشفيتزر: فلسفة الحضارة: ، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، مراجعة زكي نجيب محفوظ ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (1960م).
6. الأنصاري عابد براك وحسين مهدي عبد الحميد، عوامل التحضر عند ابن خلدون (ت808هـ) وتوينبي " دراسة مقارنة "جامعة سامراء - كلية الآثار مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية .
7. بدوي عمار توفيق أحمد، مقومات الحضارة وعوامل افولها من منظور القرآن الكريم، أطروحة مقدمة لمتطلبات الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا - جامعة النجاح الوطنية: نابلس - فلسطين، (2005م) جامعة النجاح.
8. البغا مصطفى ديب: بحوث في نظام الإسلام، بيروت (لبنان): دار الفكر المعاصر: دمشق (سوريا): دار الفكر (1998م) .
9. بلعقروز عبد الرزاق، شروط فعالية الأفكار في ظل التحديات الراهنة من منظور مالك بن نبي، إسلامية المعرفة، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، السنة الرابعة والعشرون، العدد 94، خريف(1439هـ-2018م) مركز معرفة الإنسان للبحث والتوزيع والنشر -الأردن.
10. بن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول (732-808هـ) حققه عبد الله محمد الدرويش، ط1 دار يعرب: دمشق سوريا،
11. بن ناصر سارة، الحضارة في فكر أرنولد توينبي ومالك بن نبي، دراسة مقارنة، مذكرة تخرج لنيل الماستر في جامعة تلمسان -الجزائر، (2011-2012).
12. بن نبي مالك /شروط النهضة /عبد الصبور شاهين دار الفكر -دمشق -1986م
13. بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي، تر عبد الصبور شاهين دار الفكر المعاصر، دمشق: سوريا) 1423هـ- (م2002).
14. بن نبي مالك، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، عبد الصبور شاهين ، دار الفكر المعاصر ، دمشق - (م2002).
15. بن نبي مالك، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر دمشق : سوريا الطبعة الثالثة ( 1986 )
16. بن نبي مالك، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر دمشق : سوريا الطبعة الثالثة ( 1986 )
17. توينبي أرنولد جوزيف /نظرية توينبي حول دراسة موسوعة دراسة التاريخ /ترجمة فؤاد محمد شبل /الطبعة 1 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر /القاهرة.
18. الجابري محمد عابد، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: لبنان ط1(1996م).
19. الجابري محمد عابد، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت-لبنان، الطبعة الخامسة 1992م، الطبعة السادسة (1994م).
20. حرصة أسماء & رقيبي زكية شروط النهضة ومعوقاتها عند مالك بن نبي، مذكرة أكاديمية في تاريخ الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية: قسم العلوم

29. عبد الشافي عصام، الثورة والبناء الحضاري عند ابن خلدون، (2016)، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية.
30. عحنق سهام: المقاربة السوسيو سيكولوجية للحضارة عند مالك بن نبي، مذكرة مكملة لنيل الماستر في الفلسفة، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (2016-2017).
31. فرويد سيغموند / الحب والحرب والحضارة والموت/ ترجمة عبد المنعم الحفني / الطبعة 1 دار الرشيد القاهرة (1992م).
32. قيراط محمد / الاعلام العربي الموجه للآخر والحوار بين الإسلام والغرب / ورقة مقدمة لندوة الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي / جامعة الشارقة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (2007م).
33. الكحلاني حسن / فلسفة التقدم، دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفعالة في التاريخ/ مكتبة مدبولي، القاهرة-مصر (2003).
34. مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر المعاصر دمشق (2000م).
35. مجموعة مؤلفين: الجائزة العربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، سؤال الاخلاق في الحضارة العربية الإسلامية: الورقة المرجعية، الدورة السادسة العام الأكاديمي (2016/2017م)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة -قطر (م2017).
36. مرسي علي عبد الحفيظ / أنماط العيش الاجتماعية وتحولاتها الحضارية في الفكر الإسلامي " قراءة في مقدمة ابن خلدون " / قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية / جامعة أسيوط فرع الوادي الجديد / لا يوجد سنة للنشر.
- الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة -الجزائر. (2015-2016).
21. الحميدان عبد اللطيف بن محمد ، سنن قيام الحضارات وسقوطها قديما وحديثا مقارنة بآراء ابن خلدون، الطبعة الأولى: مكتبة العبيكان للنشر المملكة العربية السعودية، الرياض ( 1438-2017م).
22. ديورانت ول / قصة الحضارة/ ترجمة مجموعة، دار الجبل بيروت 1988م
23. زكريا فؤاد، كتاب الإنسان والحضارة، مؤسسة هنداي سي آي سي، المملكة المتحدة، (2017م).
24. الزبود أسماء محمد، إرهابات النهضة في المجتمع العربي: دراسة سيكولوجية في ضوء نظرية (التحدي والاستجابة)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 40، العدد1، ( 2013م).
25. سعد الله علي، نظرية الدولة في الفكر الخلدوني، عمان -الأردن ،دار مجدلاوي ،(م2003-1424هـ).
26. شريف حليلة علي، الحضارة بين ابن خلدون وارنولد توينبي "دراسة مقارنة " مذكرة تخرج ماجستير، جامعة عبد الحميد بن باديس "مستغانم " كلية الادب العربي والفنون ، الجزائر (2016-2017).
27. الطناز علي فتي & أبو بريق عطية مالك بن نبي.. ومنظومة مفاهيم القابلية للاستعمار، مجلة العلوم الاقتصادية والسياسية / كلية الاقتصاد والتجارة زليتن /الجامعة الاسمية الإسلامية / العدد الثامن / ديسمبر (2016م).
28. عارف نصر محمد: الحضارة -الثقافة -المدنية "دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم " (1994م-1414هـ) المعهد العالمي للفكر الإسلامي - عمان، الطبعة الثانية (1415هـ -1994).

37. الملاح هاشم يحيى: المفصل في فلسفة التاريخ: دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأميلية والنقدية، كلية الآداب - جامعة الموصل، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، (2012م).

38. نجم زياد عبد الكريم، توينبي ونظريته التحدي والاستجابة الحضارة الإسلامية نموذجا، الهيئة العامة السورية للكتاب: وزارة الثقافة، (2010).

39. ول ديورانت: قصة الحضارة. ترجمة د. زكي نجيب محمود. 14 مج. ط3. القاهرة: الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية (1965م) ج1.

40. ولاي تبينه ابتسام، البعث الحضاري عند مالك بن نبي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الادب، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان: الجزائر (2011، 2012).

41. ولسون كولن / سقوط الحضارة / نقله للعربية أنيس زكي حسن / منشورات دار الآداب، بيروت: لبنان، ط3، يناير (1982م).

### الهوامش:

<sup>1</sup> انظر، عبد الحميد أحمد أبو سليمان: اغيار الحضارة الإسلامية وإعادة بناءها الجذور الثقافية والتربوية، المعهد العالي للفكر الإسلامي هرنندن - فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية (1401هـ - 1981)، ط1 (1437هـ - 12016)، ص 35

<sup>2</sup> ديورانت ول: قصة الحضارة. ترجمة د. زكي نجيب محمود. 14 مج. ط3. القاهرة: الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية. 1965م. ج1 ص3.

<sup>3</sup> مصطفى ديب البغا: بحوث في نظام الإسلام، بيروت (لبنان): دار الفكر المعاصر: دمشق (سوريا): دار الفكر (1998م) ص459.

<sup>4</sup> مجموعة مؤلفين: الجائزة العربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، سؤال الاخلاق في الحضارة العربية الإسلامية: الورقة المرجعية، الدورة السادسة العام الأكاديمي (2016/2017م)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة - قطر (2017)، ص 1-3

<sup>5</sup> هاشم يحيى الملاح: المفصل في فلسفة التاريخ: دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأميلية والنقدية، كلية الآداب - جامعة الموصل، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، (2012م)، ص 168

<sup>6</sup> انظر، انولد وينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج1، تر فؤاد محمد شبل، مراجعة محمد سفيق غريال، تقدم عبادة كحيلة، المركز القومي للترجمة والنشر: القاهرة، (2011)، ص 356-359

<sup>7</sup> انظر: سهام عجنق: المقارنة السوسيو سيكولوجية للحضارة عند مالك بن نبي، مذكرة مكملة لنيل الماستر في الفلسفة، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (2016-2017)، ص 24.

<sup>8</sup> أنظر، مجموعة مؤلفين: الجائزة العربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، سؤال الاخلاق في الحضارة العربية الإسلامية مرجع سابق، (2017)، ص 1-2

<sup>9</sup> أنظر المرجع نفسه، ص 48-49

<sup>10</sup> مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر دمشق: سوريا الطبعة الثالثة (1986)، ص 68

<sup>11</sup> ألبرت اشفيتزر: فلسفة الحضارة: ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، مراجعة زكي نجيب محفوظ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1960م، ص 62.

<sup>12</sup> نصر محمد عارف: الحضارة - الثقافة - المدنية "دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم" (1994م - 1414هـ) المعهد العالمي للفكر الإسلامي - عمان، الطبعة الثانية (1415هـ - 1994)، ص 47-49

<sup>13</sup> المرجع السابق: ص 60

<sup>14</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 44

<sup>15</sup> انظر، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول (732-808هـ) حققه عبد الله محمد الدرويش، ط1 دار يعرب: دمشق سوريا، ص 256

<sup>16</sup> محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون "العصبية والدولة" معالم نظرية خادونية في التاريخ الإسلامي: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: لبنان، ط5 (1992م)، ط6 (1994م)، ص 168

<sup>17</sup> ألبرت اشفيتزر: فلسفة الحضارة: ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق ص 20-21

<sup>18</sup> انظر، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول، مرجع سابق، ص 308-301

<sup>19</sup> انظر زياد عبد الكريم نجم، توينبي ونظريته التحدي والاستجابة الحضارة الإسلامية نموذجا، الهيئة العامة السورية للكتاب: وزارة الثقافة، (2010)، ص 12

<sup>20</sup> المرجع السابق، ص 216

21 المرجع السابق، ص 35-36

<sup>46</sup>مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 68

<sup>47</sup>أنظر: أرنولد توينبي: مختصر دراسة التاريخ، المصدر السابق/ص 235

<sup>48</sup>أنظر: بن ناصر سارة، الحضارة في فكر أرنولد توينبي ومالك بن نبي: دراسة مقارنة مرجع سابق، ص 47 بتصرف.

<sup>49</sup>أنظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص 1-1601

<sup>50</sup>أنظر: محمد عابد الجابري، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص 234

<sup>51</sup>عمار توفيق أحمد بدوي، مقومات الحضارة وعوامل افولها من منظور القرآن الكريم، أطروحة مقدمة لمتطلبات الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا - جامعة النجاح الوطنية: نابلس - فلسطين، (2005م) جامعة النجاح ص 129.

<sup>52</sup>أنظر، محمد عابد الجابري، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص 237

<sup>53</sup>عمار توفيق أحمد بدوي، مقومات الحضارة وعوامل افولها من منظور القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 162

<sup>54</sup>عبد اللطيف بن محمد الحميدان، سنن قيام الحضارات وسقوطها قديما وحديثا مقارنة بآراء ابن خلدون، الطبعة الأولى: مكتبة العبيكان للنشر المملكة العربية السعودية، الرياض (1438-2017م)، ص 242.

<sup>55</sup>حليمة علي شريف، الحضارة بين ابن خلدون وأرنولد توينبي "دراسة مقارنة" مذكرة تخرج ماجستير، جامعة عبد الحميد بن باديس "مستغانم" كلية الادب العربي والفنون، الجزائر (2016-2017)، ص 44

<sup>56</sup>أنظر، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول، مصدر سابق، ص 343

<sup>57</sup>أنظر، المصدر السابق، ص 171-172

<sup>58</sup>اسوالد اشبنجلر، تر: احمد الشيباني تدهور الحضارة الغربية، ج 1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 1، 1964، ص 87-90

<sup>59</sup>أرنولد توينبي، مختصر التاريخ، مصدر سابق، ص 412

<sup>60</sup>فرويد سيغ蒙德، الحب والحرب والحضارة والموت، ص 106

<sup>61</sup>مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص 146-148

<sup>62</sup>المرجع السابق، ص 71

<sup>63</sup>المرجع نفسه، ص 60

<sup>64</sup>ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول، مصدر سابق ص 247-251

<sup>65</sup>أنظر مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق ص 100-135

<sup>66</sup>كولن ولسون، سقوط الحضارة، نقله للعربية أنيس زكي حسن، منشورات دار الآداب، بيروت: لبنان، ط 3، يناير (1982م)، ص 154-155

<sup>67</sup>محمد عابد الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: لبنان ط 1 (1996م)، ص 97

<sup>22</sup>أنظر، محمد عابد الجابري، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت-لبنان، الطبعة الخامسة 1992م، الطبعة السادسة 1994م، ص 234.

<sup>23</sup>أنظر، مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق ص 67-69

<sup>24</sup>أنظر ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون: (المقدمة)، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الثانية، 1996، 1416، ص: 263.

<sup>25</sup>مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص 70

<sup>26</sup>المصدر نفسه، ص 112

<sup>27</sup>قيراط محمد / الاعلام العربي الموجه للآخر والحوار بين الإسلام والغرب ورقة مقدمة لندوة الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي / جامعة الشارقة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية / 2007م، ص 15-18.

<sup>28</sup>أنظر، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول (732-808هـ) حققه عبد الله محمد الدرويش، ط 1 دار يعرب: دمشق سوريا، ص 272

<sup>29</sup>مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر المعاصر دمشق (2000)، ص 81

<sup>30</sup>أنظر زياد عبد الكريم نجم، توينبي ونظريته التحدي والاستجابة الحضارة الإسلامية نموذجا، الهيئة العامة السورية للكتاب: وزارة الثقافة، (2010)، ص 7-8

<sup>31</sup>المرجع السابق، ص 8-9

<sup>32</sup>مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص 23

<sup>33</sup>أرنولد توينبي، مختصر التاريخ، مصدر سابق، ص 147

<sup>34</sup>أنظر، محمد عابد الجابري، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص 235.

<sup>35</sup>أرنولد توينبي، مختصر التاريخ، مصدر سابق، ص 59

<sup>36</sup>المصدر السابق، ص 165

<sup>37</sup>مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر: دمشق، ص 140

<sup>38</sup>المرجع السابق، ص 141

<sup>39</sup>مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 121

<sup>40</sup>مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر عبد الصبور شاهين دار الفكر المعاصر، دمشق: سوريا (1423هـ - 2002م) ص 142-143

<sup>41</sup>مالك بن نبي/ شروط النهضة، مصدر سابق، ص 141

<sup>42</sup>أنظر المصدر السابق، ص 140-150

<sup>43</sup>توينبي، أرنولد: مختصر دراسة التاريخ. 4 مج. ط 2. ترجمه فؤاد محمد شبل. القاهرة: الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية. ج 3 ص 427.

<sup>44</sup>أنظر، أرنولد توينبي: مختصر دراسة التاريخ، المرجع السابق، ص (93)

<sup>45</sup>ألبرت اشفيتزر: فلسفة الحضارة: ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق ص 40

والتجارة زليتن، الجامعة الاسمية الإسلامية، العدد الثامن، ديسمبر (ديسمبر)  
2016م، ص 242  
<sup>88</sup> انظر المرجع نفسه 250  
<sup>89</sup> مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي مرجع سابق، ص  
102-103  
<sup>90</sup> المرجع السابق، ص 146-152

<sup>68</sup> انظر ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المقدمة، ص 1-154  
<sup>69</sup> حليلة علي شريف، الحضارة بين ابن خلدون وارنولد توينبي "دراسة  
مقارنة، مرجع سابق، ص 37  
<sup>70</sup> آرنولد توينبي، مختصر التاريخ، مصدر سابق، ص 147  
<sup>71</sup> انظر، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول  
(732-808هـ) حققه عبد الله محمد الدرويش، ط 1 دار يعرب: دمشق  
سوريا، ص 491-492  
<sup>72</sup> كولن ولسون، سقوط الحضارة، مرجع سابق، ص 10-11  
<sup>73</sup> انظر، فرويد سيجمون، الحب والحضارة والموت - ص 63  
<sup>74</sup> انظر، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول مصدر  
سابق، ص 64-65  
<sup>75</sup> انظر، الحب والحضارة والموت، مرجع سابق، ص 61  
<sup>76</sup> انظر، فؤاد زكريا، كتاب الإنسان والحضارة، مؤسسة هنداوي سي آي  
سي، المملكة المتحدة، (2017م)، ص 115  
<sup>77</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 34-35  
<sup>78</sup> سهام عجنق: المقارنة السوسيو سيكولوجية للحضارة عند مالك بن  
نبي، ص 61-62  
<sup>79</sup> عصام عبد الشافي، الثورة والبناء الحضاري عند ابن خلدون،  
(2016)، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية ص 10  
<sup>80</sup> انظر، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام  
العرب والعجم والبربر ومن عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر (732-  
808هـ) اعني به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية: الأردن،  
ص 188  
<sup>81</sup> ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ابن خلدون)، مقدمة ابن  
خلدون (808هـ-732) حققه عبد الله أحمد الدرويش 1425-2004م  
، ج 1، ط 1، دار يعرب: دمشق ص 477.  
<sup>82</sup> المصدر السابق، المقدمة، ص 39  
<sup>83</sup> نصر محمد عارف، الحضارة - الثقافة - المدنية: دراسة لسيرة المصطلح  
ودلالة المفهوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المفاهيم  
والمصطلحات (1) عمان، ط 2، 1994، ص 53  
<sup>84</sup> عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول (732-  
808هـ) حققه عبد الله محمد الدرويش، ط 1 دار يعرب: دمشق سوريا،  
ص 32-33  
<sup>85</sup> انظر علي سعد الله، نظرية الدولة في الفكر الخلدوني، عمان دار  
مجدلاوي، (2003-1424هـ)، ص 85  
<sup>86</sup> انظر مالك بن نبي - شروط النهضة، ص 9  
<sup>87</sup> علي الطناز فتي وعطية أبو بريق مالك بن نبي.. ومنظومة مفاهيم  
القابلية للاستعمار، مجلة العلوم الاقتصادية والسياسية / كلية الاقتصاد

